

البابا شنودة الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

الكتاب	
٣	<u>تصدير</u>
٤	<u>الوجود مع الله</u>
١٨	<u>أوقات الإحساس بالوجود مع الله</u>
٢٦	<u>شهوة الوجود مع الله</u>
٣٠	<u>طبيعة العلاقة مع الله</u>
٣٥	<u>مشاعر الوجود مع الله</u>
٥٥	<u>فهرست مفصل</u>

البابا شنودة الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD
BY H.H. POPE SHENOUDA III

1ST print

January 1982

الطبعة الأولى

يناير ١٩٨٢

باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

تصدير

نقدم لك أيها القارئ العزيز خمس محاضرات ألقيت في الكاتدرائية الكبرى أيام الجمع مع أول مايو ١٩٧٠ إلى ٥ يونيو ١٩٧٠، عن "الوجود مع الله". وذلك في فترة الخماسين يوماً المقدسة، والكنيسة تتذكر وجود التلاميذ في حضرة الرب، في تلك الأيام المملوءة فرحاً.

وتطرق هذه المحاضرات إلى حقيقة الوجود مع الله و الإحساس بهذا الوجود.

والأوقات التي نحس فيه أننا مع الله.

وشهوة الوجود مع الله.

والمشاعر والعلامات التي تصاحب الوجود مع الله: مثل الحب، الفرح، السلام، الخشوع، البر والقداسة، الشجاعة وعدم الخوف...

نقدمها لك بعد مرور أحد عشر عاماً على إلقائها، لعلك لم تسمعها في ذلك الحين.

شنودة الثالث.

[الفهرس](#)

[١]

الوجود مع الله

"الذين أراهم أيضاً نفسه حياً، ببراهين كثيرة، بعدما تألم"، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله".

(أع ١ : ٣).

[الفهرس](#)

هذه الأربعين يوماً...

أود أن أكلمكم اليوم عن هذه الأربعين يوماً، التي قضاهما المسيح مع تلاميذه بعد القيامة، وعن دلالتهما، والفوائد الروحية التي نجنيها منها...

أعمال كثيرة عملها الرب قبل صلبه وموته عنا، وأعمال أخرى عملها بعد قيامته... فقد قضى هذه الأربعين يوماً مع تلاميذه، يحدثهم عن الأمور المختصة بالملكوت:

يضع لهم أساس الكنيسة، ويسلمهم عقائدها وطقوسها، يسلمهم الأمور الخاصة بالرعاية، ويشبثهم في الإيمان...

يحولهم من الخوف والفرع والإضطراب والشك، إلى اليقين والقوة، في صلابة الإيمان. يجعلهم بعد الأربعين يوماً مستعدين أن يجابهوا العالم كله بقلب قوى. لقد أخرج من العلية هؤلاء الخائفين المختبئين، لكي ينشروا الإيمان في العالم كله...

كانت أياماً لازمة لتأسيس الكنيسة. وكانت أيام فرح:

لقد قال الرب من قبل "ولكن حزنكم يتحول إلى فرح... سأراكم فتفرح قلوبكم. ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو ١٦ : ٢٠ ، ٢٢).

واحتفال بهذا الفرحة، لا تصوم الكنيسة، ولا تنقطع عن الطعام، لأن الرب قال: هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟! مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا، ولكن ستأتي أيام، حين يرفع العريس عنهم، حينئذ يصومون (مر ٢ : ١٩ ، ٢٠).

ولذلك فحتى صوم يومى الأربعاء والجمعة، الذى تصومه الكنيسة على مدار السنة، ولا تمنعه سوى الأعياد السيديّة الكبرى، هذا الصوم يمتنع في هذه الأيام، التي لا نذكر فيها الصلب ولا التآمر، إنما نذكر وجود الرب مع تلاميذه... أيام الفرحة هذه، أيام لقاء الرب بخاصته وأحبائه، ليس فيها أيضاً مطانيات تذلل، ولا فيها ألحان حزن... حتى أنه إذا توفى خلالها أحد المؤمنين، يدخل الكنيسة بلحن الفرحة، بلحن القيامة، ولا تسمعون مطلقاً لحناً حزيناً في الجنازات...

إنها أيام جميلة في اختباراتها الروحية، وفي أحداثها، وفي فاعليتها. وأفضل تدريب فيها هو إختبار الوجود مع الله...

الله مع أحبائه...

كان التلاميذ فرحين إذ رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠).

وكان الرب فرحاً جداً بوجوده في وسط أحبائه.

هذا الذى "أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو ١٣ : ١)... إنه يريد أن يكون معنا، وأن نكون نحن أيضاً معه، الآن وإلى إنقضاء الدهر...

أليس اسمه عمانوئيل، الذى تفسره الله معنا (مت ١ : ٢٣).

لذلك قال لتلاميذه في يوم الخميس الكبير:

"أنا ماض لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً، أتى أيضاً وآخذكم إلى، حتى حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً" (يو ١٤ : ٣).

ونفس هذا المعنى، قاله في مناجاته للآب:

"أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني، يكونون معي حيث أكون أنا" (يو ١٧ : ٢٤).

إنه لا يريد فقط أن نكون معه في الأبدية، إنما يعدنا بذلك على الأرض أيضاً، فيقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (متى ٢٨ : ٢٠) وأيضاً "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى، فهناك أكون في وسطهم" (متى ١٨ : ٢٠).

وبالنسبة إلى كل فرد يحبه، يقول "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٣ : ٢٣).

وليس فقط عن الأحباء ههنا، بل أيضاً عن الذين إنتقلوا إلى الفردوس، قال للص اليمين "اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣ : ٤٢).

ومع الخدام والرعاة، يقول عنه سفر الرؤيا "المسك السبعة الكواكب في يمينه، الماشى في وسط السبع المنائر الذهبية" (رؤ ٢ : ١). أى أنه في وسط الكنائس، وفي يديه رعاها...

هذا الذى يوجد معنا، على الأرض، وفي الفردوس، وفي الأبدية، في وسط الكنائس، ومع الرعاة، ومع المصلين في كل مكان على الأرض، ومع كل إنسان يحبه...

ترى على أى شئ يدل هذا؟

أيدل هذا على محبته، أم على لاهوته إذ هو في كل مكان؟ أم على الأقل... وجوده معنا...

أيضاً في مجيئه الثاني، نلمح نفس هذه الحقيقة: سيأتي على السحاب، ومعه ربوات قديسيه (يه ١٤). وحينما يجلس للدينونة، يكون أحباؤه معه "... على اثني عشر كرسيًا، يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متى ١٩ : ٢٨). وفي هذا المجمع الثاني، يقول القديس بولس الرسول:

"ثم نحن الأحياء الباقين، سنخطف معهم جميعاً في السحب، لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام" (١ تسى ٤ : ١٧ ، ١٨).

نعم ما أحلى هذه الأنشودة: ونكون كل حين مع الرب.

لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام...

حقاً، إن الوجود كل حين مع الرب، هو "ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر."

ما أجمل أن الرب في التجلى، لم يكن وحده...

ظهر معه في هذا التجلى موسى وإيليا، رمزاً للمتزوجين والبتولين، رمزاً للذين ماتوا والذين لم يموتوا بعد، ورمزاً لأهل الوداعة يمثلهم موسى (عد ١٢ : ٣). وأهل الحزم يمثلهم إيليا (١ مل ١٨ : ٤٠). الكل مع الرب على جبل التجلى...

ولكى تكمل الصورة، في حادث التجلى، قال الكتاب إن الرب أخذ معه إلى الجبل بطرس ويعقوب ويوحنا (متى ١٧ : ١). فكانوا معه... رأوا هذا المجد، وسمعوا الصوت من السحابة...

ومجد التجلى، يذكرنا أيضاً بأورشليم السماوية، حيث نرى الله يسكن مع شعبه، وفي ذلك يقول القديس يوحنا الراهب: وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً:

"هوذا مسكن الله مع الناس. وهو يسكن معهم."

"وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم، إلهاً لهم" (رؤ ٢١ : ٣).

إنها نفس الصورة القديمة لخيمة الاجتماع "الله وسط شعبه". ولكنها هنا في مجد وحب وبر، حيث لا خطية من الناس تحتاج إلى ذبيحة، بل الكل طاهر...

كل هذا نتذكره في الأربعين يوماً، ونحن نضع أمامنا صورة الرب وسط تلاميذه القديسين، أحبائه وأولاده...

إننا في هذه الأيام نحتفل بوجود الله معنا، أو على الأقل نطلب إليه ذلك، كما فعل تلميذا عمواس، إذ ألزمه قائلين:

"أمكث معنا، لأنه نحو المساء، وقد مال النهار" (لو ٢٤ : ٢٩).

يقول الإنجيل، مكملًا هذا المعنى الجميل، إنه "دخل ليمكث معهما. ولما اتكأ، أخذ خبزاً وبارك وكسر، وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه..."

ما أحوج كل منا أن يقول له: امكث معي ياسيدي. وكما باركت في ذلك الزمان الآن أيضاً بارك...

من ذلك الزمان...

إن قصة "الله معنا" هي قصة قديمة، ودائمة... ما أكثر ما ترددت في الكتاب، وسمعتها واختبرها آباؤنا القديسون...

بدأت منذ كان الله مع آدم في الفردوس...

وهناك كان يكلمه، ويباركه، ويمنحه أيضاً سلطاناً (تك ١). وبالخطية زال الإحساس بالوجود في الحضرة الإلهية، وشعر الخاطئ بانفصاله عن الله. وظهر هذا الانفصال في عمقه، حينما صرخ قايين قاتلاً للرب "ذنبى أعظم من أن يحتمل. إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى" (تك ١٤ : ١٣ ، ١٤).

نعم، إن الخطية تسبب انفصلاً عن الله...

فيها يصرخ الخاطئ ويقول "لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني" (مز ٥٠) "لا تصرف وجعك عني" "حتى متى تحجب وجهك عني" (مز ١٢).

حينما يبتعد الإنسان عن الله، يحس الله مبتعداً عنه...

وأحياناً يحس ذلك وقت الخوف. والخوف ليس من الإيمان.

وهكذا يقول المرتل في خوفه من مؤامرات الأشرار "لماذا يارب تقف بعيداً. لماذا تختفى في أزمنة الضيق؟" (مز ١٠ : ١).

لذلك يحرص الله أن يعزى أولاده، ويشعرهم بوجوده معهم في كل ضيقاتهم. وهكذا قال لبعده يشوع بعد موت موسى:

"كما كنت مع موسى، أكون معك. لا أهملك ولا أتركك"

تشدد وتشجع، لا ترهب ولا ترتعب. لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب... لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك" (يش ١ : ٥ ، ٩).

نفس التشجيع، كان أيضاً من الله لأرمياء الصغير:

"لا تخف من وجوههم، لأنى أنا معك لأنقذك، يقول الرب" "يجاربونك ولا يقدررون عليك، لأنى أنا معك يقول الرب، لأنقذك" "هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة، وعمود حديد، وأسوار نحاس على كل الأرض" (أر ١ : ٨ ، ١٩).

نفس التشجيع الذى كان ليشوع وأرمياء، كان أيضاً لبولس:

قال الرب لبولس لما قاومه اليهود جداً فى كورنثوس:

"لا تخف، بل تكلم ولا تسكت. لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع ١٨ : ٩ ، ١٠).

إن الشعور بوجود الله مع الإنسان، يعطيه قوة وثقة.

لهذا فإن مراحم الله وتعزياته تشعر الإنسان بوجود الله معه، لكى يتعزى ويتقوى، وتكون له جسارة قلب، من النعمة، لمواجهة كل ضيق، فلا يخاف من أعدائه مهما اعتزوا جداً...

وفى قصة الثلاثة فتية، لم يكن الأمر مجرد وعود إلهية. إنما كان الرب معهم فعلاً، وهم فى أتون النار، فلم تقو على أيديهم، وسبحوا الله داخل الأتون...

إن قصة الثلاثة فتية مثال قوى للوجود مع الله.

وقد كانت هذه القصة مصدر عزاء عميق للأجيال، ونحن نتغنى بها فى التسبحة كل يوم حينما نرتل الإبصلمودية...

وكما أن الثلاثة فتية لم يخافوا النار لشعورهم بأن الله معهم، كذلك لم يخف دانيال من إلقائه فى جب الأسود... وكذلك كان المرتل مطمئناً، حينما قال:

"إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز ٢٣ : ٤).

وبنفس الروح قال "الرب نورى وخلصى ممن أخاف؟!... إن يجاربني جيش فلن يخاف قلبى. وإن قام على قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧ : ١ ، ٢).

طلما السحابة فوق رأسك، فأنت لا تخاف حتى إن دخلت في قلب البحر الأحمر، أو تهمت سنوات في برية سيناء...

إن الشعور بالوجود في حضرة الله، لا يجعل الإنسان يخاف، مهما كانت الأخطار محدقة. وأيضاً هناك فائدة أخرى:

شعورك بالوجود في حضرة الله، يمنحك استحياءً فلا تخطئ.

هكذا كان يوسف الصديق... كان يشعر أنه واقف قدام الله، والله يراه. فكيف يخطئ، ويفعل ذلك الشر العظيم قدام الله!! وهكذا شعر بأنه يتعامل مع الله، أعطاه استحياءً في قلبه، وارتفاعاً عن مستوى الخطية.

حقاً، إن الإنسان أثناء ارتكابه للخطية لا يكون في حالة شعور بالوجود في الحضرة الإلهية... لا يكون الله أمام عينيه، ولا في فكره، ولا في قلبه... بل يكون في حالة إنفصال عنه، لأنه لا شركة للنور مع الظلمة.

على أنه كثيراً ما يحيط بنا الله في وقت الخطية، لكي ينقذنا منها، كما يحيط بنا وقت الخطر أو الخوف لينقذنا منهما... ولكننا للأسف قد لا نشعر بيد الله تلمسنا لتستيقظ، أو تلمسنا لتتقوى. ما أعمق قول القديس أوغسطينوس:

كنت يارب معي، لكنني من فرط شقاوتي، لم أكن معك.

إن وجود الله شيء، والإحساس بوجوده شيء آخر..

عدم إدراك وجود الله...

قد يكون الله مع بعض الناس، ومع ذلك فهم لا يشعرون بوجوده معهم، ربما لشئ في فكرهم، أول لظروف تحيط بهم، تعوقهم عن الإحساس بوجود الله وعمله...

❖ مثال لذلك: جدعون...

كان الله معه. وقد شهد ملاك الرب بذلك قائلاً له: الرب معك يا جبار البأس (قض ٦ : ١٢). أما جدعون الذي لم يكن يشعر بوجود الله في حياة الشعب، فقد ردّ على الملاك قائلاً "اسألك ياسيدي: إن كان الرب معنا، فلماذا أصابنا كل هذه؟ وأين كل عجائبه التي اخبرنا بها آباؤنا؟...".

كان إيمان جدعون في بدائته، يريد أن يلمس بأصابعه...

ولم يكن يتصور وجود الله، يتفق مع وجود الضيقات!!

في منطقهم وقتذاك: إما أن يكون الله موجود معهم، وحينئذ لا يمكن أن تصيهم الضيقات...! وإما أن تكون الضيقات الموجوده دليلاً على عدم وجود الله معهم..!

إنه الإيمان، بدون الصليب!! أو الإيمان الذى يريد الحياة سهلة! أو الإيمان الذى يضع الله توقيتاً عاجلاً لعملة، ولا يستطيع أن ينتظر الرب من محرس الصبح إلى الليل (مز ١٣٠).

❖ مثال آخر: المجدلية، وتلميذا عمواس...

المجدلية ظهر لها السيد المسيح بعد قيامته، فظنته البستاني، وكان معها ولكنها لم تعرف أنه هو. وعلى الرغم من وجوده معها، كانت لا تزال تفكر أن جسده قد سُرق، وربما يكون البستاني قد سرقه، وتساءل: قل لى أين وضعته؟! (يو ٢٠ : ١٤ ، ١٥).

وتلميذا عمواس، ظهر لهما أيضاً السيد المسيح، وتحدث معهما، ومع أن قلبهما كان ملتهباً فيهما أثناء حديثه معهما، ولكن "أعينهما أمسكت عن معرفته". ولم يدركا أنه هو، إلا بعد إختفائه عنهما! (لو ٢٤ : ١٦ ، ٣٢).
ما أكثر ما يكون الرب معنا، ونحن لا ندرك!

❖ مثال صموئيل النبي:

تحدث إليه الرب ثلاث مرات فى طفولته، وهو لا يميز الصوت، ويظن أنه صوت على الكاهن، وليس صوت الله! وفى المرة الرابعة، لما أحاب "تكلم يارب فإن عبدك سامع" كان بناء على نصيحة على، وليس لموهبة تمييز (١ صم ٣ : ٤ ، ٤ - ١٠). ولكن صموئيل نما فى الروح، وصار يشعر بالوجود الإلهى، ويميز صوت الله، يتكلم إليه أو على فمه.

❖ مثال أبينا إبراهيم:

زاره الرب مع ملاكين، ولكنه لم يميز أن هذا هو الرب، ولم يشعر بالوجود الإلهى، بدليل قوله له: "ياسيد، إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك، فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون" (تك ١٨ : ٣ - ٥).

ولو شعر أنه موجود فى حضرة الله وملائكته، ما كان يحضر كسرة خبز ليسندوا قلوبهم! ما كان يذبح عاجلاً، ولا يصنع لهم خبز ملة، ولا يحضر لهم زبداً ولبناً...!

على أن أبانا إبراهيم أدرك أنه فى حضرة الله فيما بعد، لما أعلن له الله ذاته.

❖ مثال اللص الشمال:

كان إلى جوار الرب على الصليب، ولم يستفد من هذه العشرة الإلهية، بل كان يجدف عليه. ولم يدرك هو، حتى يقول له مع زميله اللص اليمين "اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك". بل ظل يستهزأ به. ومات هذا اللص في خطيئته ولم يستطع أن يقول مع بولس الرسول "مع المسيح صلبت" (غل ٢ : ٢٠) لأنه لم يؤمن أنه المسيح. إنه لم يمت مع المسيح كاللص اليمين وإنما مات إلى جواره، وقلبه بعيد عنه.

❖ مثال الظلمة لم تدركه:

عاش المسيح وسط اهله وعشيرته، ولم يدركوا أنه هو. "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" هذا النور الحقيقي أشرق في الظلمة "والظلمة لم تدركه" (يو ١ : ٥ ، ١١). ومع أنه عاش بينهم، لم يشعروا بوجوده، بل قالوا عليه إنه ضال، ومضل، وكاسر للسبت، وناقض للشريعة، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين. ورفضوه وقدموه للصليب... وحتى أهل قريته لم يؤمنوا به، وعبروه بأنه ابن النجار، حتى قيل "ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه!" كل هؤلاء وأمثالهم، كان الله موجوداً معهم، ولكنهم لم يتمتعوا بالوجود الإلهي، ولم ينالوا بركته وفاعليته.

إن الوجود مع الله، ليس مجرد وجود مكاني، إنما هو وجود قلبي وعاطفي وعملي، له آثاره...

❖ مثال الشيطان:

في قصة أيوب، كان الشيطان واقفاً في الحضرة الإلهية "جاء بنوا الله ليمثلوا أمام الرب. وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم" (أى ١ : ٦). ومرة أخرى "جاء الشيطان أيضاً في وسطهم، ليمثل أمام الرب" (أى ٢ : ١). وكان له شرف الحديث مع الله. ولكنه لم يستفد شيئاً، ولم يتمتع بالوجود في حضرة الله، بل أضاف إلى شره شراً. وفي التجربة على الجبل، التقى الشيطان بالرب، وبنفس الأسلوب أضاف إلى شره شراً، ولم يتمتع بالوجود مع الله.

❖ وأمثلة بعض الخطاه:

قايين وقف أمام الله مرتين: مرة نصحه فيها الرب وأرشده، ولكنه لم يستفيد شيئاً لأن قلبه لم يكن مع الله، واستسلم للخطية الرابضة. والمرة الثانية وقف في الحضرة الألهية، ولم يتمتع بالوجود الإلهي، إنما استمع إلى دينونته (تك ٤ : ٦ ، ٩).

والشاب الغنى تمتع بالحضرة الإلهية إلى لحظات، ونظر إليه الرب يسوع وأحبه. ولكنه خرج من المقابلة حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة، ولم يستفد من نصيحة الرب.

وبالمثل أولئك الذين دعاهم الرب للخدمة فاعتذروا.

وبالمثل العبد البطل صاحب الوزنة الواحدة.

ويعوزنا الوقت إن ضربنا أمثلة لأشخاص وجدوا في حضرة الله ولم يستفيدوا بل أدينوا. لذلك قلنا إنه ليس وجوداً مكانياً هذا الذى نعيه، بل وجود فى القلب، فى حب...

إن كانت مأساة، أنك توجد فى حضرة الله، ولا تشعر به فمأساة أكثر أن توجد فى حضرته وتحاربه، وتأخذ دينوته، أو توجد فى حضرته فى لا مبالاة.

كالذين يحضرون إلى الكنيسة، يقفون أمام الله، فى بيته، بتهاون، أو بفكر شارد. أو الذين يتناولون من الأسرار المقدسة، كعادة، بلا عمق، ويخرجون من التناول ليخطئوا كما كانوا...
لذلك كله، نحب أن تكون المشاعر متناسبة مع الوجود الإلهى.

وكم من مرة، تقابل مع الرب الكتبة والفريسيون والصدقيون والكهنة وشيوخ الشعب، ولكن قلوبهم لم تكن معه، ونيتهم لم تكن صافية للإستفادة منه، بل أن بعضهم كان يسعى أن يصطاده بكلمة. لذلك كان وجودهم مع الرب دينونة عليهم وليس نفعاً.

كذلك الفريسي الذى استضافه فى بيته وليس فى قلبه، وكان يراقب والمرأة الخاطئة تسكب دموعها على قدميه، ويدينه فى فكره. ولم يستفد من الوجود فى حضرة الله.

مشاعر تناسب الوجود مع الله...

١- ينبغى أولاً أن يكون لنا إيمان بوجود الله معنا.

الإيمان بوعوده، والإيمان بمحبته، والإيمان بعمله.

ولا يجوز لنا أن نقيس وجود الله معنا بالراحة فى العالم. فالمشاكل والمضايقات ليست علامات للتخلى، وليست دليلاً على عدم وجود الله معك. الله يسمح بما، لتأخذ ما فيها من بركة، ومن أكاليل، ومن فوائد روحية. وهى تصيبك لكى تظهر معدنك الطيب كما حدث لإيوب، ولكى تأخذ منها خبرة فى الحياة. وأيضاً لكى تتزكى، ولكى تقويك وتصقلك.

إن أسعد أوقات اللص اليمين، كانت وهو مصلوب مع المسيح.

كن إذن شديداً فى الضيقة. لا تجعل الضيقة تحطمك، إنما حطمها أنت بإيمانك. إن الزحاجة إذا وقعت على صخرة، لا تتحطم الصخرة، وإنما تتحطم الزحاجة. كن إذن صخرة.

٢- لا تعتبر وجود الله في حياتك مؤقتاً. بل دائماً.

إن المسيح لم يكن مع تلاميذه خلال الأربعين يوماً فقط، وإنما "كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر"...
 إن كان معهم في الأربعين يوماً بطريقة منظورة، فقد كان معهم كل الأيام بطريقة غير منظورة. وكانوا يؤمنون بهذا. بل أن بولس الرسول يقول "لكي أحيأ لا أنا، بل المسيح يحيا في" (غل ٢ : ٢٠). إذن كان يؤمن أن المسيح ليس فقط معه، وهو بالأكثر فيه...

لذلك إن حوربت بأن الله ليس معك، قل لنفسك: كلا، إنه معي، ولكنني أنا الذي لا أدرك وجوده، كما حدث مع المجدلية... العيب إذن فينا، وليس في عدم وجوده.

٣- لذلك ينبغي أن تكون حواسك الروحية مدربة وإن لم تدرك وجوده مباشرة، فستدرك ذلك بالتدريج.

المجدلية لم تدرك وجوده، وظنته البستاني. ولكن الرب عمل فيها، فشعرت به أخيراً، وقالت له "رابوني" أى يامعلم.

والمولود أعمى ظن أنه إنسان بار، ثم نبى، ولما حدثه الرب عن ابن الله، سأل: من هو لأؤمن به، إذ لم يكن إلى هذه الساعة يعرفه. على أنه عرفه أخيراً وآمن وسجد له (يو ٩ : ٣٥ - ٣٨).

السامرية أيضاً عرفته أيضاً بالتدريج وليس من أول وهلة.

والتلاميذ ظنوه خيلاً أو روحاً، ثم آمنوا أخيراً (لو ٢٤ : ٣٧). ولم يؤمنوا فقط، بل نشروا الإيمان في كل مكان. وقالوا عنه: الذى رأيناه وسمعناه ولمسته أيدينا (١ يو ١ : ١ ، ٣).

لا تتضايق إذن إن كان إدراكك ضعيفاً لوجود الله في حياتك. إنما عليك أن تصلى وتقول [أعن يارب ضعف إيمان] وثق أن قوته في الضعف تكمل (٢ كو ١٢ : ٩).

ملاحظة أخرى هامة جداً أقولها لك، وهى:

٤- لا يكفى أن يكون الله معك، إنما يجب بالأكثر أن تكون أنت أيضاً معه... لك معه شركة.

وليتك تأخذ درساً من ملائكة الكنائس السبع في آسيا لم يكن الرب فقط معهم، وإنما كان أيضاً ممسكاً بهم، وكانوا في يمينه (رؤ ٢ : ١). وعلى الرغم من هذا يقول الرب لملاك كنيسة أفسس "عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى. فاذاً من أين سقطت وتب... وإلا فإن آتية عن قريب، وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب" (رؤ ٢ : ٤ ، ٥)... عجيب أنه في يمين الله، وقد سقط، ويحتاج إلى توبه...!

وأخطر من هذا ملاك كنيسة لادوكية الذى يقول له الرب "أنا عارف أعمالك أنك لست حاراً ولا بارداً... هكذا أنا مزعج أن أتقيأك من فمى. لأنك تقول إني أنا غنى... ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان... فكن غيوراً وتب" (رؤ ٣ : ١٥ : ١٩).

وأخطر من هذين ملاك كنيسة ساردس، الذى يقول له الرب: إن لك إسماعاً إنك حى وأنت ميت (رؤ ٣ : ١)... ومع ذلك كان فى يمين الله، الرب ممسك به.

إذن لا يكفى بأن يكون الله معك، إنما كن أنت أيضاً معه، بكل القلب والفكر والحواس والإرادة.

٥- ولتكن لك المشاعر الاثقة بالوجود فى حضرة الله.

ولعل منها الخشوع. فإن يشوع النبي لما أحس أنه أمام رئيس جند الرب، يقول الكتاب "فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد. وقال له: بماذا يكلم سيدى عبده" (يش ٥ : ١٥). وخلص نعله من رجله، لأن المكان الذى كان واقفاً فيه مقدس.

وهكذا فعل موسى النبي أيضاً، حينما ظهر له الرب وكلمه فى العليقة التى لا تشتعل (خر ٣ : ٥).

وكما يليق الخشوع بالوجود مع الله، كذلك يليق البر.

لأنه "آية شركة للنور مع الظلمة" (٢ كو ٦ : ١٤).

ويليق بالوجود مع الله الفرح، فقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠). كذلك تليق مشاعر أخرى كثيرة منها الحب والسلام... وغيرها.

وستتكم عن هذا كله بالتفصيل فى المحاضرات المقبلة إن شاء الله.

غير إننى أود أن أحتتم بملاحظة هامة وهى أن فترة الوجود مع الله هى فترة حب، تليق بها سرية العلاقة الشخصية.

مشاعر تحفظ فى سرية...

أربعين يوماً قضاها المسيح مع تلاميذه، ومع ذلك لم يسجل الكتاب مدار فى هذه الأيام من مشاعر ومن أحاديث، إنما جملها سفر أعمال الرسل فى عبارة بسيطة. أما الأنجيل فأشارت بالأكثر إلى شكوك التلاميذ وضعفاتهم وكيف عاجلها الرب. ولم تذكر لنا حتى تفاصيل يوم واحد من الأربعين يوماً...

هنا وأتعجب من الذين يقفون أمام الناس ليحكوا اختبراتهم!!

أين اختباراتكم هذه من اختبارات آباءنا الرسل، الذين لم يسجلوا منها شيئاً، ولم يذكروا سوى ضعفاتهم وشكوكهم...

إن حياة الحب والعشرة مع الله، هي قدس أقداس، يليق بها الصمت. والحديث عنها تعليم غير كتابي...

مريم أخت لعازر، إختارت النصيب الأفضل، وجلست عند قدمي المسيح، تتأمله، وتستمع إليه، ولكنها لم تذكر شيئاً من كل هذا، ولا سجل الكتاب شيئاً منه... إنه قدس أقداس.

وموسى النبي قضى مع الرب أربعين يوماً على الجبل، دون أن يحكى ماذا قال له الرب فيها، وما أعماق هذا العشرة..

وأخنوخ الذى لم يموت، سجلت حياته كلها في عبارة واحدة تقريباً هي "وسار اخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله اخذه" (تك ٥ : ٢٤). ولم يشرح الكتاب كيف سار اخنوخ مع الرب، ولا أخنوخ تحدث عن هذا إنه قدس أقداس.

وبولس الرسول صعد إلى السماء الثالثة، ولكنه لما نزل ما قص علينا شيئاً مما رآه، بل قال إنه "سمع كلمات لا ينطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها" (٢ كو ١٢ : ٤).

لماذا يامعلمنا بولس العظيم لا تحكى لنا اختباراتك، كما يحكى أبناء اليوم؟! مبارك هو صمتك. إنه أيضاً قدس أقداس.

بل أكثر من هذا مريم العذراء، في كل عشرتها مع المسيح، لعلنا نقول: ليتها حكمت لنا تلك الثلاثين سنة التي عاشها المسيح قبل خدمته الجهارية، تلك التي ختم عليها بالصمت... لقد صمتت العذراء. وكانت تحفظ كل هذه الأمور متأملة بما في قلبها (لو ٢ : ٥١).

إن الصمت وليس الكلام، هو الذى يليق بالروحيات والحب الإلهي والعشرة مع الله، مثلها صمت التاريخ عن تأملات القديس الأنبا بولا السائح خلال ثمانين عاماً من الوحدة.

هكذا صمت التلاميذ عن الأربعين يوماً. وما حدثهم المسيح عنه من الأمور المختصة بملكوت الله، ظهر في حياتهم وممارساتهم، ووصل إلينا بالتقليد، أكثر مما وصل بالكلام.

ولعلك تقول: لماذا لم يتكلم هؤلاء جميعاً، لتتعلم من حياتهم؟

أقول لك: عش مثلهم، وأنت تعرف حينئذ ما أخفوه.

إجلس عند قدمي المسيح، مثلما جلست مريم، وحينئذ سيقول لك ما قاله لها، أو ما يناسبك من أحاديث أخرى...

وإن أحببت المسيح، كما أحبه الرسل، وتركوا كل شئ وتبعوه، فحينئذ سيحدثك مثلهم عن الأمور المختصة بملكوت الله، ليس فقط على مدى أربعين يوماً، وإنما طول الحياة.

إفتح قلبك لله، وهو يملؤه حباً. وافتح ذهنك له، وهو يضع فيه أجمل الأحاديث. عش معه بكليتك، يفيض عليك من مواهبه ونعمته وقوته، ويحينئذ تقول مع داود في المزمور:
"إني اسمع ما يتكلم به الرب الإله".

أما إن أردت أن يحدثك الرب وأن يعطيك، لكي تشرح للآخرين وتحكى، فإنك تكون قد خرجت من سرية الحب، وبدلاً من المخدع المغلق صرت تبوق قدامك بالبوق.

أما إن احتفظت بقدسية العلاقة وسريتها، فإن الله يقول عنك "أختي العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢).[‡]

[‡] القيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة يوم الجمعة ١ / ٥ / ١٩٧٠ م.

[٢]

أوقات الإحساس بالوجود مع الله

"حقاً إن الرب في هذا المكان،

وأنا لم أعلم".

(تك ٢٨ : ١٦)

[الفهرس](#)

ما هي أوقات الإحساس بوجود الله؟
متى تشعر النفس بأن الله موجود معها؟
في الحقيقة، من ضمن الأوقات الأساسية التي نحس فيها بوجود الله معنا.

١ - أوقات الضيق والتعب:

وقت الضيق، هو وقت الإحتياج لله. وفيه تشعر بوجود الله، أكثر مما تشعر في وقت الراحة أو المتعة. تشعر في الضيقة بيد الله كيف تتدخل وتعمل وتنقذ...

يعقوب أبو الآباء، بدأت خبراته الروحية في وقت الضيقة.

لم نسمع له عن خبرات روحية ولا مناظر ولا رؤى في بيت أبيه، ولا صراع مع الله، ولا وعود إلهية، ولا تغيير لإسمه...

ولكن لما قال عيسو "أقوم وأقتل يعقوب أخي" (تك ٢٧ : ٤١) وهرب يعقوب من وجه أخيه هنا بدأ يشعر بوجود الله في حياته... وفي هروبه وضيقته رأى السلم الواصلة بين السماء والأرض، ورأى الملائكة صاعدة ونازلة عليها، وسمع صوت الله يقول له "ها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك ٢٨ : ١٠ - ١٥). وبدأت ليعقوب سلسلة من الخبرات الروحية في الحياة مع الله...

ونفس الوضع بالنسبة إلى يوسف الصديق:

لم يدخل في العشرة الإلهية كما ينبغي، وهو ابن مدلل في بيت أبيه، له قميص ملون، وأحلام جميلة، تثير حسد أخوته وغيرهم... ولكن لما ألقى في البئر، ولما بيع كعبد، بدأ يختبر يد الله معه، كيف ينجح طريقه، وكيف يعزیه حتى وهو في السجن، وكيف يمنحه موهبة تفسير الأحلام، ويمنحه نعمة في عيني حافظ السجن والمسجونين، بل يمنحه نعمة في عيني فرعون نفسه "والله أراد به خيراً" (تك ٥٠ : ٢٠).

أفضل أيامه الروحية، كانت وهو في الضيق. أما لما صار وزيراً، فلم نسمع عنه حينئذ رؤى أو أحلام، بل كان رجل إرادة وسلطه. ولم تكن إرادة الرب مكشوفة له وقت مباركة إبنية افرام ومنسى، كما كانت مكشوفة لأبيه يعقوب الذي عاش في الضيق (تك ٤٨ : ١٧ - ١٩).

ويونان النبي كانت أعرق روحياته وهو في بطن الحوت.

حينما كان طليقاً، كان معانداً للأمر الإلهي، متمسكاً برأيه. أما حينما ابتلعه الحوت، وجازت فوقه التيارات واللجج، حينئذ صرخ من جوف الهاوية، فسمع الرب صوته. لما أعيت فيه نفسه، صلى يونان إلى الرب وهو في جوف الحوت، وقال "حين أعيت فيّ نفسي، ذكرت الرب، فجازت إليك صلاتي... بصوت الحمد أذبح لك، وأوفى بما نذرته" (يون ٢ : ١ ، ٧ ، ٩).

وأمثلة لأنبياء وأبرار كثيرين:

الثلاثة فتية تمتعوا بوجود الله معهم، وهم في أتون النار. ودانيال النبي شعر بعمل الله لأجله وهو في جب الأسود. وبطرس الرسول لمس يد الله معه وهو في السجن (أع ١٢ : ٦ ، ٧) وكذلك القديس بولس أيضاً (أع ١٦ : ٢٥ ، ٢٦). ويوحنا لم يبصر تلك الرؤيا العظيمة، إلا وهو في الضيقة، منفياً في جزيرة بطمس (رؤ ١ : ٩ ، ١٠). وتلاميذ الرب أبصروا يده معهم، لما اضطرت السفينة وهاجت الريح، فأتاهم في الهزيع الأخير من الليل، وانتهر الريح.

حقاً، حينما لا توجد حلول بشرية، نبصر يد الرب تعمل.

أحياناً، لما يرتفع الإنسان في مركزه، يختفى عمل الله من قاموسه. ومن الجائز أن تجد في هذا القاموس كلمات الشهرة والمال والعظمة والمركز، أما كلمة الله فتكون عزيزة. ولكن حينما تحل الضيقة تتعلق عيناه بالرب إله.

وهكذا كان بنو إسرائيل في تاريخهم القديم.

في فترات المتعة، كانوا ينسون الرب، بل كثيراً ما عبدوا الأصنام. فلما كان الرب يدفعهم إلى أيدي أعدائهم، فيدلون، كانوا حينئذ يصرخون إلى الرب، فيرسل لهم من عنده من يخلصهم، كما يشرح لنا سفر القضاء. بل ما أعمق قول المرتل في هذه الخبرة "املاً وجوههم خزيًا فيطلبون وجهك يارب".

ربما في قوتنا، نعتمد على قوتنا. وفي التجارب نختبر قوة الرب.

يقول الرب "ادعني في وقت الضيق، أنقذك فتمجدني"

إن إختبار عبور البحر الأحمر، كان في وقت الشدة.

كذلك ضرب الصخرة التي فجرت ماء، وكذلك السحابة المظلمة.

إن أرملة صرفة صيدا، لم تختبر الوجود مع الله وعشرته، إلا في وقت المجاعة، وحينما مات ابنها. هنا ظهر الله في حياتها. وبالمثل المرأة الشونمية لما مات ابنها أيضاً...
 اننا نتمتع بوجود الله في وقت الضيقة... ونحس وجوده، ونطلب وجوده ونلمس وجوده... وكذلك نتمتع بوجوده الإلهي في أوقات الصلاة والتأمل والعبادة.

٢ - أوقات الصلاة والتأمل...

الأوقات الروحية مناسبة جداً للشعور بالوجود في حضرة الله. وهكذا ما كان يحسه أبناؤنا القديسين في خلواتهم ووحدهم. لذلك كانوا يتركون ضجيج العالم إلى البراري، حيث ينفردون بالله. ويشعرون بأنهم وجدوه هناك، وأحسوه في صلواتهم وتأملاتهم.

رؤيا يوحنا ورؤيا بولس:

في سفر الرؤيا، القديس يوحنا الحبيب، لم يحمّد الله في الضيقة فقط، إنما يقول الكتاب "كنت في الروح في يوم الرب" (رؤ ١ : ١٠). كان في حالة روحية، ملتصقاً بروح الله، مرتفعاً بقلبه إليه، في يوم مقدس. وفي هذا الجو الروحي، رأى السماء مفتوحة، وأبصر عرش الله، والقوات السمائية تسبحه. القديس بولس الرسول أيضاً، يعطينا نفس الصورة أيضاً في صعوده إلى السماء الثالثة. كان هو أيضاً في حالة روحية وصفها بقوله "أو في الجسد أم خارج الجسد؟ لست أعلم، الله يعلم" (٢كو ١٢ : ٢ ، ٣).

إن الإنسان يحس وجود الله في الأوساط الروحية، عندما يلتصق قلبه بالله، وتتلامس روحه مع الله. القديس غريغوريوس أسقف نيصص، كان أثناء خدمته للقداس الإلهي، يبصر الروح القدس على هيئة حمامة. وأحياناً كان الرب يعلن له من هو مستحقاً للتناول ومن هو غير مستحق...
 وكثير من الآباء الكهنة، أثناء القداسات، يكونون في حالة روحية غير عادية، يشعرون أثناءها بالوجود الفعلي مع الله.

هنا جو روحي خاص: من جهة الإستعداد لهذه الخدمة المقدسة، والاستعداد للتناول، وهيبة الهيكل والمذبح والذبيحة، وجو البخور والصلوات، والقيام الفعلي أمام الله. كل ذلك يعطى شعوراً خاصاً يندر وجوده في أوقات أخرى...
 لذلك أنا أعجب من الذين يطلبون أن يسجل لهم أحد الآباء الكهنة قطعة من القداس في وقت يختارونه.

إنه حينئذ سيسجل لنا لحناً، ولا يقدم نفس الروح شتان بين تسجيله للحن في أى وقت، وتسجيله في وقت القداس الإلهي، في جو روحى خاص، وفي حالة روحية خاصة! وفي شعور بالوجود أمام الله، بتأثير الذبيحة المقدسة... بنفس المنطق أيضاً، نقول أن هناك فرقاً جوهرياً بين أن تسمع القداس الإلهي، وأنت في الكنيسة تعد نفسك للتناول، وأن تسمعه في بيتك من الاذاعة أو من جهاز تسجيل...

في وقت الصلاة والتأمل، يشعر الإنسان بالله بملأ قلبه، ويشعر بأن الله يحيط به، كما يشعر أنه واقف أمام الله يكلمه. أنظروا كيف أن المسيح يقول "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى. فهناك أكون في وسطهم". هذا الشعور بأن الله في وسطنا، هو شعور روحى يشعر به الإنسان في وقت الصلاة. ويشعر أيضاً بأن الملائكة حوله، وبأن أرواح القديسين أيضاً تحيط به، بأن روحاً عميقاً في داخله يعطيه ما يقوله...

لهذا كانت لاجتماعات الصلاة قوتها وتأثيرها، ولهذا كانت لليالي الصلاة وسهراتها فاعلية عميقة داخل النفس وقوة غير عادية...

نتذكر أن تلاميذ الرب فيما كانوا يخدمون الرب ويصلون، كلمهم الروح القدس، وقال لهم: افرزوا لى برنابا وشاول (أع ١٣ : ٢).

وفي إحدى المرات وهم يصلون، تززع المكان من قوة الصلاة، أو من الوجود الإلهي أثناء الصلاة، وامتلأ المشتركون في الصلاة من الروح القدس (أع ٤ : ٣١).

الصلاة جعلت الرب يحل بمجده في المكان فشعر المصلون بوجود الله، بأن السحابة قد استقرت على الخيمة. هنا يشعر الإنسان بالعزاء وبالفرح والسلام، ويشعر بلذة البقاء في الصلاة، وأنه يود لو كانت الصلاة لا تنتهى...

وكما قال أحد الآباء عن الصلاة: ومن فرط حلاوة الكلمة في أفواههم، ما كانوا يريدون أن ينتقلوا منها إلى كلمة أخرى في صلواتهم.

الذى يشعر بلذة الصلاة، وبوجود الله معه في الصلاة، لا يجب أن ينتقل من جو الصلاة إلى أى جو آخر بعيد عنها. ولو انتهت صلاته، قد يظل واقفاً، ولو صامتاً، يعز عليه أن ينزع نفسه من هذا الجو الروحي... ولو يقول عبارة واحدة: لا أريد يارب أن أتركك إلى عمل آخر. ولا أريد أن أختم الحديث معك، لكى أتحدث مع أحد سواك... من هنا كانت الصلاة الدائمة. ليست كعمل تغصبي أو مجرد تدريب، إنما رغبة في البقاء مع الله أطول وقت... هناك أوقات كثيرة تشعر فيها بالوجود مع الله، ولكن وقت الصلاة والتأمل هو أعمقها وأقواها...

وماذا أيضاً يشعرك بالوجود في حضرة الله.

٣ - الأماكن المقدسة...

إن جو الكنيسة والأماكن المقدسة، يشعرك بالوجود مع الله، أكثر من شعورك في أى مكان آخر...

ولهذا نجد إنساناً روحياً مثل داود النبی، يستطيع أن يكون روحياً في أى مكان ويتمتع بالله... إلا أنه مع ذلك يقول "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب. قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى". "مذابحك أيها الرب إله القوات ملكى وإلهى. طوبى لكل السكان فى بيتك، يباركونك إلى الأبد" (مز ٨٣).

ويقول "واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى، لكى أنظر إلى نعيم الرب وأتفرس فى هيكله" (مز ٢٦).

وهكذا يترنم المرتل بالجبل المقدس، ومدينة الله، ويقول "أساساته فى الجبال المقدسة. أحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب" "أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله" (مز ٨٦) "ههنا موضع راحتى إلى أبد الأبد. ههنا أسكن لأبى اشتييته" (مز ١٣١) "بييتك تليق القداسة يارب" (مز ٩٢). "رفعت عينى إلى الجبال، من حيث يأتى عونى" (مز ١٢٠).

إن زيارة لمكان مقدس، لدير، لمغارة قديس، لكنيسة قديمة، قد تكون لها تأثيرات روحية عميقة داخل النفس.

تشعر الإنسان بوجود الله فى هذا المكان، كما قال أبونا يعقوب عن بيت إيل "إن الله فى هذا المكان" (تك ٢٨).

ولهذا يحدث أحياناً كلما أحس الإنسان باحتياجه إلى دفعة روحية قوية، يقوم بزيارة لمكان مقدس، ترجع إليه الشعور بوجود الله معه، أو بوجوده أمام الله، فيلتهب قلبه، لمجرد نظر البناء، أو لمجرد نظر أيقونة معينة لها تأثير فى النفس، أو لمجرد تذكر أن قديساً معيناً عاش مع الله فى هذا المكان...

أو قد يلجأ الإنسان إلى أية واسطة روحية تشعل محبة الله فى قلبه، وتشعره بهذا الوجود الإلهى داخل القلب...

وإن اجتمع تأثير المكان، وتأثير العمل الروحى معاً، فإن هذا يكون أنفع جداً... بل هناك أمكنة تدفع الإنسان دفعاً إلى الصلاة، أو تعطية عمقاً خاصاً فى صلواته، أو فى ترانيله وألحانه، أو فى تأملاته وقراءاته...

على أن الوجود فى الحضرة الإلهية، قد لا يأتى سببه منا، وإنما من زيارة النعمة لنا، فى وقت لا نعلمه، أو لا

نتوقعه، أو لم نعد أنفسنا له...

٤ - وقت لا نعلمه...

حقاً، كما قال الرب في الإنجيل المقدس "إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة" (لو ١٧ : ٢٠).

الروح يهب حيث يشاء.

نحن لا نعلم متى يتحدث الله إلينا، متى يعلن لنا عن ذاته، متى تزورنا نعمته، متى نجد أنفسنا أمام الله...

إنما في وقت لا نعلمه، يعمل الله في قلوبنا من حيث لا ندرى، ويشعرنا بوجوده. وهكذا فعل مع القديسين.

في وقت ما كان يتوقعه موسى النبي، وبطريقة لم تخطر له على بال، كلمه الله من النار المشتعلة في العليقة، وأعلن

له ذاته، وأرسله ليخلص الشعب... (خر ٣).

وفي وقت ما، كلم الله أبانا إبرام، ودعاه للحياة معه (تك ١٢). وجد إبرام نفسه أمام الله، دون أن يسعى إلى

ذلك، ودون أن يخطر له هذا على بال، وتكرر الأمر في حياته مرات... إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة.

كذلك صموئيل النبي وهو طفل. ما كان ينتظر مطلقاً، أن يكون له حديث مع الله، أو أن يختاره لرسالة معينة أو

لنبوة، ولكنه وجد نفسه أمام الله في وقت لا يعلمه ولا يتوقعه...

وبنفس الأسلوب، شاول الطرسوسى في طريق دمشق، وجد نفسه أمام النور، وأمام دعوة، وأمام عتاب، وأمام

المسيح شخصياً. وصار رسولاً من حيث لا يدرى، بل وفي عكس الطريق الذى انتهجه لنفسه.

في وقت غير معروف، تفتقد النعمة قلب إنسان، فتشعله. كما هو مطلوب منه، أن يتجاوب ويستغل الفرصة.

أنت لا تدري متى يطرق الله على بابك. كل ما تدريه أنك أن سمعت صوته لا تقسى قلبك، بل تفتح بابك

مباشرة، وتقول له في حب: تعال أيها الرب يسوع.

مشكلة عذراء النشيد، إنها لم تفتح للرب، حينما أتاها طافراً على الجبال وقافراً على التلال، ولا حينما مدّ يده من

الكوة، فأنت عليه أحشاؤها. لذلك قالت في ألم شديد: "حبيى تحول وعبر. نفسى خرجت حينما أدبر. طلبته فما

وجدته. دعوته فما أجابنى" (نش ٥ : ٢ - ٦).

في فترات زيارة النعمة، يشعر الإنسان بوجود الله معه. يشعر بحرارة غير عادية، وإقتراب قلبه إلى إلهه، وبحب

عجيب للرب وملكوته، وبرغبة في الصلاة، وعمق في التأمل، كما يشعر بسيطرته على فكره وتوجيهه توجيهاً روحياً.

إن رأيت هذا في نفسك، فتذكر قول الرسول "لا تطفئوا الروح" (١ تس ٥ : ١٩). وإن لم تكن في هذه الحالة

الروحية، فلا تحاول أن ترقبها متى تجئ. إنما يكفي أن تقول في مزاميرك "مستعد قلبى يا الله، مستعد قلبى" (مز ٥٦).

وباستمرار كلما وجدت في داخلك إشتياًقاً روحياً، حاول أن تلهبه بالأكثر. إو وجدت في داخلك رغبة في التوبة أو في الإعتراف، فلا تتوان ولا تؤجل. وإن وجدت رغبة ملحة أن تصلى، فلا تتكاسل. وإن وجدت نفسك قد تأثرت بعظة أو صلاة أو لحن أو ترتيلة، فلا تجعل هذا التأثير يضيع بلا ثمر. إستفد من وجود الله معك، لنموك الروحي.

واحترس من أن يكبر قلبك خلال زيارات النعمة.

وجودك في حضرة الله، يناسبة التواضع بالأكثر، وانسحاق القلب، والشعور بعدم الإستحقاق، فهذا يمكن أن يعطيك الرب أكثر فأكثر، لأنه يعطى المتواضعين نعمة (يع ٤ : ٦).

وكلما تجد نفسك مع الله، قل: إنه من أجل إحتياجي سمح الرب أن يفتقدني بنعمته، وليس ذلك بسبب إستحقاقي.

إنه ليس بجهدنا نكون مع الرب، إنما بحنانه وجوده.

من أجل محبته لبني البشر، من أجل عدم مشيئته أن يموت الخاطيء. من أجل رعايته وعنايته وأبوته، يفتقدنا بوجوده معنا، حتى دون طلب منا، كما فعل مع تلميذى عمواس ومع شاول الطرسوسى.

تبارك الرب فى عظم محبته. له المجد من الآن وإلى الأبد آمين ✠.

✠ القيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى، يوم الجمعة ١٥ / ٦ / ١٩٧٠م.

[٣]

شهوة الوجود مع الله

الوجود مع الله: شهوة

دعوة للآخرين

فرح بالأبدية

[الفهرس](#)

شهوة الوجود مع الله...

الوجود مع الله شهوة في القلب النقي.

الإنسان الروحي يشواق ان يوجد باستمرار مع الله لذلك نجد داود النبي يقول "كما يشواق الأيل إلى جداول المياه، كذلك إشتاقت نفسي إليك ياالله، عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجي وأترأى قدام الله" (مز ٤٢ : ١ ، ٢). "ياالله، أنت إلهي، إليك أبكر. عطشت نفسي إليك... باسمك أرفع يدي، فتشبع نفس كأها من شحم ودسم" (مز ٦٢) "إليك يارب رفعت نفسي... إياك أنتظرت النهار كله" (مز ٢٤) "طلبت وجهك، ولوجهك يارب ألتمس. لا تحجب وجهك عني" (مز ٢٦) "التحقت نفسي وراءك" (مز ٦٢) أي جرت وراءك.

وكما يشواق المرتل إلى الله، يشواق إلى كل ما يتعلق به، إسمه، بيته، وصاياه...

يقول "محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتي" (مز ١١٨) ونقول في الإبصلمودية "إسمك حلو ومبارك، في أفواه قديسيك".

وعن كلام الرب يقول "وجدت كلامك كالشهد فأكلته" "كلماتك حلوة في حلقى. أحلى من العسل والشهد في فمي" (مز ١١٨). وعن بيت الرب يقول "فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب" (مز ١٢١ : ١) "تشتاق وتذوب نفسي للدخول إلى ديار الرب" (مز ٨٣ : ٢) "واحدة طلبت من الرب وإيها التمس، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى نعيم الرب، وأتفرس في هيكله" (مز ٢٦)

الإنسان الذي يحب الله، يشواق أن يكون معه في كل حين، ناموسه هو درسه، وصاياه هي تلاوته، محبته هي الغذاء الذي تتغذى به الروح، ويتغذى به الفكر...

أما الذي يضجر بسرعة، إن جلس مع الله، ويدركه السأم والملل إن طال به الوقت في الصلاة، أو في الكنيسة، أو في قراءة الكتاب أو التأمل الروحي، فهذا إنسان جاف في قلبه، بعيد عن الحياة الروحية...

بعكس هذا، الإنسان الروحي، الذي يمتلئ قلبه بمحبة الله، فإنه ليس فقط يشواق إلى الله، وإنما يدعو الآخرين أيضاً...

دعوة الآخرين...

إنه يدعو الكل إلى عشرة الله، ويقول لهم ما قاله المرتل في المزمور "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٣)

المرأة السامرية، لما تمتعت قليلاً بالوجود مع المسيح، ذهبت تبشر به في كل المدينة، وتدعو الناس قائلة "تعالوا وانظروا إنساناً قال لي كل ما فعلته" (يو ٤ : ٢٩)... لقد ارادت لهم أن يذوقوا ما قد ذاقته من حلاوة الوجود معه، ولذة الحديث معه، وجمال عشرته، وحلو حديثه.

وهنا الفرق بين الحبة الروحية، والحبة الدنيوية... حبة العالم، هي حبة أنانية، تريد أن يكون ما تجبه لها وحدها. أما الحبة الروحية، حبة الله وعشرته، فإنها تشرق على الجالسين في الظلمة، وتريد أن يشاركها الكل في حبها، وفي الله الذي تتمتع به. لا تريده لها وحدها، إنما للكل...

لما فيليس تعرف على المسيح، قال لثنائيل "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس، والذي كتب عنه الأنبياء" (يو ١ : ٤٥). ولما ذاق يوحنا الرسول حلاوة العشرة مع المسيح، كتب في رسالته الأولى "إن الحياة أظهرت، ونشهد ونخبركم... الذي رأيناه وسمعنا نخبركم به، لكي تكون لكم أيضاً شركة معنا... لكي يكون فرحكم كاملاً" (ايو ١ : ٢ - ٤).

كل من يمتلئ بمحبة الله، تراه يفيض من هذا الحب على الآخرين ويدعوهم لمشاركته... وماذا أيضاً؟
الذي يحب الله، يحب الأبدية. وليس فقط يحب الله على الأرض، إنما يحبه أيضاً هناك في العالم الآخر.
وإذا بمحبة الوجود مع الله، تتحول إلى فرح بالأبدية.

فرح بالأبدية...

إن سمعان الشيخ، لما حمل المسيح على يده، وفرح بهذا الخلاص، صرخ من عمق قلبه قائلاً "الآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك..." (لو ٢ : ٢٨ - ٣٠).

الذين يحبون عشرة الرب حقاً، ويرون ما في العالم من عوائق المادة والجسد، يشتاقون أن ينطلقوا من هذا الجسد، لكي تكون لهم فرصة أوسع في عشرة الله، ولكي يكونوا في كل حين مع الرب (١ تس ٤ : ١٧). وهكذا نرى القديس بولس الرسول يقول "لي إشتهاء أن أنطلق، وأكون مع المسيح، فذاك أفضل جداً" (في ١ : ٢٣). إذن شهوة الإنطلاق هنا، هدفها هو الوجود مع الله، فذاك أفضل جداً...

إن الذي يشعر بلذة الوجود مع الله، لا يهيمه الموت، بل على العكس يرى أن الموت هو جسر ذهبي جميل، يوصل إلى حياة أفضل، إلى الفردوس، إلى النعيم، إلى الوجود مع الآب كل حين، إلى التخلص من الحياة في المادة وما تسببه من معوقات. لذلك يكون تفكيره في أورشليم السماوية، مسكن الله مع الناس، تفكيراً له أعماقه العاطفية في القلب...
إن اسطفانوس أول الشمامسة، لما اقترب من الموت، اعنى لما اقترب من الانتقال إلى عشرة الله الدائمة، كان فرحاً مهللاً. ويقول عنه الكتاب في تلك اللحظات إنهم شخصوا إليه "ورأوا وجهه كوجه ملاك" (أع ٦ : ١٥). أما هو

فشخص إلى السماء، وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله... وقال "ها أنا أنظر السموات مفتوحة، وإين الإنسان قائماً عن يمين الله" (أع ٧ : ٥٥ - ٥٦)... وبهذا الفرح انتقل إلى الوجود الدائم مع الله، حيث لا مؤامرات، ولا حنق أعداء، ولا رجم...

لا شك أن الذين يحزنهم الموت والانتقال إلى الرب، لم يتيقنوا من لذة الحياة مع الله، والوجود في عشرته المحببة إلى النفس. أو أن البعض يخافون الموت، لأنه يحرمهم من الحياة في الجسد وفي المادة ومع الناس...

في القرنين الثاني والثالث للميلاد، حيث كانت أشواق المؤمنين متعلقة في عمق بالملكوت، كانوا يسعون إلى الموت سعياً من أجل الله، وكانوا يجوبون الإستشهاد. بل أن العلامة أوريجانوس والعلامة ترتليانوس، وضع كل منهما كتاباً عنوانه "حث على الإستشهاد". فهذا الإستشهاد سيوصلهم إلى الوجود الدائم مع الله...

تحول الإستشهاد في تلك العصور إلى شهوة، لأنه يحمل في طياته شهوة أعمق، هي الوجود الدائم مع الله، حيث يتغنون مع القديس بولس قائلين "ونكون كل حين مع الرب".

هذه الشهوة المقدسة، نزعنا من قلوبهم الخوف من الموت. فكانوا ينشدون تلك الأنشودة الجميلة: "إن عشنا، فللرب نعيش. وإن متنا، فللرب نموت. إن عشنا أو متنا، فللرب نحن" (رو ١٤ : ٨).

هؤلاء لا قههم سوى عشرة الله، سواء هنا أو هناك.

في السماء، يكونون كل حين مع الرب. وعلى الأرض أيضاً يشعرون أنهم مع الله في كل مكان. كيانهم كله معه...

هوذا داود النبي يقول "تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع" (مز ١٦ : ٨). الرب أمامه، والرب عن يمينه، يحيط به من كل ناحية. فما تأثير هذه عليه إذن. يقول بعد ذلك مباشرة "من أجل هذا فرح قلبي وتهلل لساني. وأيضاً جسدي يسكن على الرجاء" "عرفتني سبل الحياة. تملأني فرحاً مع وجهك"...

إنه يشعر بوجود الله معه، هنا وفي الأبدية، لذلك يقول أيضاً "إن سرت في وادي ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معي" (مز ٢٢). ما أجمل شعور المؤمن بأن الله معه، حتى في وادي ظل الموت...

لذلك يرتل هؤلاء المؤمنون تريلة "حيث قادي أسير". لا يهم أن يقود الله النفس، لكن المهم أن تكون معهم حيثما قادها. ومادامت معه، تشعر بالسعادة والثقة والإطمئنان.

[٤]

طبيعة العلاقة مع الله

الفهرس

لكى نفهم الوجود مع الله، ينبغي أن نفهم أولاً ما هو الله بالنسبة إلينا؟... وبالتالي ما هى طبيعة العلاقة معه؟...
وهنا نفهم حالة الوجود مع الله...

إن الله لا يشاء أن يكون مجرد سيد يحكم عبيداً، ولا يشاء أن يكون خوف العبيد وطاعتهم هو أساس العلاقة التى تربط البشرية به. لذلك قال فى وضوح:

"لا أعود أسميكم عبيداً... بل أحياء" (يو ١٥ : ١٥).

وفى هذا الحب، ودرجته وعمقه، قيل عنه إنه "أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو ١٣ : ١).
بل إن هذا الحب كان هو السبب المباشر للتجسد والفداء، لأنه "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ : ١٦).

وفى محبة الله لنا، دعانا أبناء له...

ويتغنى القديس يوحنا الرسول بهذه الحقيقة فيقول "إنظروا أية محبة أعطانا الآب، حتى ندعى أولاد الله" (١ يو ٣ : ١).
وأصبحنا حينما نصلى، نوجه صلواتنا إلى هذا الآب السماوى، ونقول له "يا أبانا الذى فى السموات".
حتى جاء السيد المسيح، فأظهرها بجلاء ووضوح. أنظروا كيف أن الله يعاتب البشر فى العهد القديم فيقول "ريبت بنين نشأتم، أما هم فعصوا على" (أش ١ : ٢). وكأب فى العهد القديم، يخاطب الإنسان بعبارة "يا إبنى أعطنى قلبك" (أم ٢٣ : ٢٦). وقد أدرك أشعياء النبى أبوة الله، فقال له "تطلع من السماء، وانظر من مسكن قدسك، فإنك أنت أبونا... أنت يارب أبونا، ولينا منذ الإبد إسمك" (أش ٦٣ : ١٦). وقال أيضاً "والآن يارب أنت أبونا... وكلنا عمل يديك" (أش ٦٤ : ٨)... والأمثلة كثيرة...

إذن فنحن حينما نتواجد مع الله، نتواجد مع أب يحبنا...

ونقضى الوقت معه، كما يسلك الأبناء مع أبيهم المحب لهم، بنفس الدالة التى للأبناء. ومن الناحية الأخرى، حينما نخطئ، نشعر ليس مجرد شعور العبيد الذين يخافون العقوبة، بل بالأكثر شعور الأبناء الذين يؤلمهم ويحزنهم أنهم جرحوا قلب أبيهم المحب، وتباعدوا عنه بالمعصية، فيسرعون لمصالحته، ليوجد فى كل حين معهم...

وماذا أيضاً؟ هل نحن مجرد أبناء وأحياء؟ كلا، بل هناك ما هو أكثر:

من محبة الله، دعا النفس التى تحبه عروساً له...

هذا واضح تماماً فى العهد القديم، فى سفر نشيد الأناشيد... وفى العهد الجديد يتكلم يوحنا المعمدان عن الكنيسة كلها كعروس للمسيح، ويقول عنه وعنهما "من له العروس فهو العريس" (يو ٣ : ٢٦). وفى الجئ الثانى، شبه الرب كل

النفوس التي تحبه بخمس عذارى حكيما، أخذن مصايجهن وخرجن لإستقبال العريس (مت ٢٥). ويقول بولس الرسول عن كرازته "خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١ : ٢)، وشرح في الرسالة إلى أفسس، كيف أحب المسيح الكنيسة كعروس له، وكيف قدسها وطهرها وأسلم نفسه لأجلها، وقال عن وحدة المسيح بالكنيسة "هذا السر عظيم" (أف ٥ : ٢٢ - ٣٢).

إذن نحن أبناء وأحباء، وعروس للرب، وماذا أيضاً؟

أقول بالأكثر: إنه ونحن كيان واحد، كالرأس والجسد...

حقاً، هذا السر عظيم! إن الرب لم يفصلنا عنه. فنحن جسده وهو رأسنا. المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣)، ورأس كل رجل هو المسيح (١ كو ١١ : ٣) وأجسادنا هي أعضاء المسيح (١ كو ٦ : ١٥). ونحن أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه" (أف ٥ : ٣٠). إنني أفهم هنا مذهولاً أمام هذه العبارات العجيبة، التي أراد بها الوحي الإلهي توضيح علاقتنا بالمسيح ووجدتنا به...

وقد وضع الرب هذه الوحدة، بعلاقة أخرى غير الرأس والجسد، فقال:

"إثبتوا فيّ، وأنا فيكم... أنا الكرمة، وأنتم الأغصان" (يو ١٥).

الكرمة والأغصان، كيان واحد... كالرأس والجسد...

والغصن لا حياة له، إلا بالثبات في الكرمة. وهكذا قال الرب "كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته، إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم إن لم تثبتوا فيّ... الذي يثبت فيّ وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير" (يو ١٥ : ٤ ، ٥).

إذن أكثر من الوجود في الله، الثبات في الله...

نثبت في الله، كما يثبت الغصن في الكرمة، تسرى فيه عصارة الكرمة وتعطيه حياة... وإن لم تسر فيه عصارة الكرمة، يجف ويموت... ولكن كيف نحصل على هذا الثبوت في الله؟

لقد قدم لنا الرب أربع وسائل للثبوت فيه:

- ❖ فقال "من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيّ وأنا فيه" (يو ٦ : ٥٦).
- ❖ وقال القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه، وهو في الله" (١ يو ٤ : ١٥). وهنا قدم الإيمان كواسطة للثبوت في الله.
- ❖ وقال أيضاً "الله محبة. ومن يثبت في المحبة، يثبت في الله، والله فيه" (١ يو ٤ : ١٦).

❖ وأيضاً "من يحفظ وصاياه، يثبت فيه، وهو فيه" (يو ٣ : ٢٤).

إذن هناك وسائط للثبوت في الله، هي: الإيمان، والمحبة، والتناول من جسده ودمه، وحفظه وصاياه.

فهل حرصت على هذه الوسائط الأربع؟ وهل شعرت فيها بالثبوت في الله؟ هل شعرت فيها بوجود الله فيك؟ هذا إن كنت قد مارستها كما ينبغي...

هل رأيتم علاقة في قوة هذا الثبوت المتبادل؟

ثبوت كالجسد في الرأس، وكالغصن في الكرمة... فيه حياة، ولا حياه بدونه... وماذا أيضاً؟ لعلى أتجرأ وأقول، في خشية واتضاع قلب...

الوجود مع الله، هو الوجود في الله...

أو هو وجود الله فينا...

وجود الله فينا، كقول السيد الرب الآب "انا فيهم، وأنت فيّ، ليكونوا في مكملين إلى واحد" (يو ١٧ : ٢٦). وقوله أيضاً "وعرفتهم إسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧ : ٢٦). وقول بولس الرسول "لكي أحيأ لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ" (غل ٢ : ٢٠).

هل يوجد مجد أكثر من هذا؟! أو هل توجد متعة روحية أعمق من هذا؟! أن يؤدي وجودك مع الله إلى وجوده هو فيك.. على أننا نلاحظ هنا أن الأمر لا يقتصر على السيد المسيح فقط، وإنما:

كما يكون المسيح فيك، يكون أيضاً الآب والروح القدس:

أما عن روح الله فيك، فيقول الرسول "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله ساكن فيكم" (١ كو ٣ : ١٦)، "أم لستم تعلمون أن جسداًكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم" (١ كو ٦ : ١٩)... حقاً إن هذا السر عظيم. أما عن الآب فيقول السيد المسيح "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتى، وعنده نصنع منزلاً" أى الآب والإبن معاً (يو ١١ : ٢٣).

هذا عن وجود الله فيك. فماذا عن وجودك فيه؟...

يقول بولس الرسول "... لكي أربح المسيح، وأوجد فيه" (في ٣ : ٨ ، ٩). ويوحنا الرسول يقول "بهذا نعرف أننا فيه" (١ يو ٢ : ٥).

والسيد المسيح يجمل هذا الوجود المتبادل في قوله "في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي ، وأنتم فيّ، وأنا فيكم" (يو ١٤ : ٢٠). ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله "إثبتوا فيّ، وأنا فيكم" (يو ١٥ : ٤).

ولكني لا أزال حائراً أمام عبارة "إثبتوا فيّ، وأنا فيكم". ما معناها؟ ما كنه هذا الثبوت؟ قطعاً لا يمكن أن تثبت في جوهره، وإلا صرنا آله..! وما نحن سوى تراب ورماد... على أن الرب يجيب في نفس الإصحاح فيقول:
نعم، بالحب تثبت فيه، وبالحب يثبت هو في قلوبنا... ألم يقل الرسول "الله محبة. من يثبت في المحبة، يثبت في الله، والله فيه"...

إنه الحب المبني على الإيمان، كما قال القديس بولس "ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة" (أف ٣ : ١٧ ، ١٨).

إذن نحن بالحب، وفي الحب، نشعر بالوجود في الله...

لا نشعر فقط بوجود الله معنا، أو وجودنا معه، وإنما نشعر أيضاً - في محبتنا له - بوجوده فينا، ووجودنا نحن فيه. نشعر أننا أعضاء في جسده، وأنا ثابتون فيه كثبوت العنصر في الكرمة، ثبوتاً نأخذ به حياة، ونضارة، ونصنع به ثراً...

فهل أنت كذلك، تشعر أن حب الله يسرى فيك، ويعطيك حياة، لها متعة روحية خاصة، غير الحياة التي لهذا العالم؟ وهل تشعر أن هذا الحب الإلهي يغذيك ويقويك، ويثبتك فيه، ويشبع نفسك تماماً...؟

في الحب، نشعر بالوجود مع الله...

وفي الوجود مع الله نشعر بالحب. وبماذا أيضاً؟

لعله من المناسب، أن تكون لهذا الموضوع محاضرة خاصة.

[٥]

مشاعر الوجود مع الله

مشاعر الحب

مشاعر الفرح

مشاعر السلام

[الفهرس](#)

مشاعر كثيرة

ما أعمق المشاعر التي تنبت من الوجود مع الله... وما أكثرها. مجرد الإحساس بالوجود مع الله، يجعل النفس ترتفع إلى فوق، في مستوى أعلى من هذا العالم، وأسمى من الماديات.

وتصبح كل مشاعرها روحية... في عمق...

ينجذب القلب إلى الله، ويلتصق به في حب، ويرى أن سعادته كلها في البقاء هكذا. ويغنى مع داود "أما أنا فخير لي الإلتصاق بالرب" (مز ٧٣ : ٢٨).

ويود أن يبقى هكذا، لا يفارقه، ولا ينفصل عنه...

يفرح إنه وجد الله، فتعلق به نفسه، ويقول مع عذراء النشيد "أمسكته ولم أرخه" (نش ٣ : ٤). ويود أن تدوم حياته في هذا اللقاء مع الله والإحساس بوجوده. وتصبح كل الرغبات الأخرى تافهه في عينيه، لا تستطيع أن تفصله عن هذه المتعة الروحية التي يجدها مع الرب، فيصيح من أعماقه، مع بولس الرسول:

"من سيفصلنا عن محبة المسيح...؟! (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩).

"... لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبله، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع"... أتستطيع أن تقول هكذا، ولا تسمح لشيء أن يفصلك عن الوجود مع الله؟

يروى في قصص القديسين عن أحد الآباء الرهبان، أنه كان سائراً في البرية، مستغرقاً في صلته بكل قلبه وعواطفه، فأتى ملاكان وأحاطا به من هنا ومن هناك. ولكنه لم يسمح لنفسه بأن يترك صلته وينظر إلى أي منهما، بل استمر في صلواته وتأملاته وهو يقول "من يفصلني عن محبة المسيح؟ لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة"...

إن مشاعر الوجود مع الله، مشاعر لا ينطق بها...

تحسها، وإن أردت أن تصفها، لا تستطيع... تصل أحياناً إلى مرحلة يبهر فيها الإنسان ويذهل.. فإن استيقظ يشعر بفرح يغمره، ويشعر بميل إلى الصمت، لا يريد أن يخرج من إحساساته الداخلية إلى مستوى الحديث مع الناس...

وكعينة من هذه المشاعر، سنتكلم عن ثلاثة منها:

هى مشعار الحب، والفرح، والسلام. وكلها من ثمار الروح القدس، الذى يسكن قلب الإنسان، ويشعر الإنسان بسكناه وثماره فى أوقات الوجود مع الله...

مشاعر الحب...

في حضرة الله

مشاعر الحب

في حضرة الله

يكفيك أيها المبارك أن تتقابل مع المسيح، تتحدث إليه، تستمع إليه، تكون علاقة معه وتجد فيه كل كفايتك ولا يعوزك معه شيء... تعطيه قلبك، وحينئذ تشعر بتفاهة العالم كله، وتسعد بمحبة الله.

هذا هو الوجود مع الله، حب في حب، قلب بشري يتلامس مع الله...

قلب محدود، يتلامس مع القلب غير المحدود، وحب بسيط، يتقابل مع حب لا نهائي. نحن في حياتنا مع الله، مثل الجدول البسيط الذي يسير حتى يلتقى بالبحر، ويصب فيه، ويختلط بمياهه التي لا تنتهي. نحن قطرة ماء، تسخن بجملة الحرارة، وتبخر فترفع، لكي تنزل إلى أعماق النهر الكبير... حياتنا مع الله حياة حب.

العشرة مع الله، هي عشرة الحب...

إنما ليست مجرد نظام روحي، أو جدول روحي تضعه لنفسك في الصلاة والقراءة والتأمل والاجتماعات والمطانيات... كل هذا حسن وجميل. ولكن هل هو نابع عن حب؟ هل فيه اشتياق إلى الله، وعشرة مع الله؟ هل علاقتك بالله هي علاقة حب؟ هل تشتاق إليه كما يشتاق الغصن إلى عصير الكرمة يسرى في خلاياه؟ أم كل جدائك الروحية رسميات بلا عاطفة؟!

هل أنت تشعر بوجود الله في حياتك، وجوداً يلهب قلبك بالحب، فتتقد عاطفتك نحو الله باستمرار...؟

هل في وجودك مع الله، وقت صلاتك، وقت تأملاتك، وقت إحساسك بيده تمسكك وتوجهك، أو وقت إحساسك بيده تربت على كتفك في حنو، هل في هذه الأوقات تشعر بمحبة إلهية تملأ قلبك، وتشبعك، وتلهف عواطفك الروحية، فلا تعد محتاجاً إلى أية محبة أخرى إلى جوارها؟

هل في صلواتك لهجة الحب، وأسلوب الحب؟ وهل إذا صليت لا تريد أن تنتهي من الصلاة، لأن المحبة تجذبك إلى البقاء في حضرة الله؟

هل قلبك المحب للمسيح، مملوء بالفرح لأنك قد وجدته؟

هل وجودك مع الله، أصبح حياة، وليس فترات؟

أى أنه من شدة محبتك لله، ورغبتك في أن توجد معه باستمرار، إزدادت فترات وجودك معه، وظلت تنمو، حتى أصبحت تحس بوجودك في حضرة الله كل حين، وليس لفترات محدودة تأتي وتنتهي... وهكذا تقول مع معلمنا داود "تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين...".

إن الذى يحب الله، ويجب أن يوجد دوماً معه، لا يكون الله بالنسبة إليه هو إله مناسبات...!

الله، ليس هو الإله الذى يجده الإنسان في الكنيسة فقط، فإن فارقها فارقه! وليس هو الإله الذى يجده في الكتاب المقدس، فإن أغلق هذا الكتاب إنتهت علاقته به! وليس هو فقط الإله الذى لا يجده إلا في الصلاة والتأمل والتراتيل، وبعدها لا يحس بوجوده...!

إنما هو الإله الذى يحس وجوده معنا في كل مكان، وفي كل وقت، وفي كل عمل... هو في حياته على الدوام. وهنا نسأل: من يكون المسيح بالنسبة إلى حياتنا؟

إن المسيح ليس غريباً عنا... إنه فينا:

ليس هو مجرد شخصية تاريخية، قرأنا عنها في الإنجيل، فعرفنا قصة تجسده وصلبه وقيامته وصعوده إلى السموات... بل المسيح حىّ بيننا، معنا كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر، حسب وعده الصادق (مت ٢٨ : ٢٠). إنه المسك السبعة الكواكب في يمينه (أى جميع الرعاة)، الماشى في وسط السبع المناير الذهبية (رؤ ٢ : ١) أى الموجود في وسط الكنائس كلها...

حقاً إننا نشعر بوجوده معنا في صلواتنا، حسبما قال "حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨ : ٢٠). ولكن وجوده معنا لا يقتصر على أوقات الصلاة فقط...

وجوده في حياتنا، أعمق من هذا وأشمل...

ما أروع تلك العبارة التى قيلت عن معموديتنا، التى فيها متنا مع المسيح، وقمنا مع المسيح... وليس هذا فقط، بل يقول القديس بولس الرسول "لأن جميعكم الذين اعتمدتم بالمسيح، قد لبستم المسيح" (غل ٣ : ٢٧)... وأمام عبارة "لبستم المسيح" أقف مبهوراً، أحاول أن اتشرب المعنى على مهل، بالروح لا بالعقل..

وفي حياتنا الروحية، إن كنا قد صولحنا مع الله بموته عنا، فإننا ونحن الآن مصالحون "نخلص بحياته" (رو ٥ : ١٠) أى بحياته فينا، حيث كل حين "يقودنا في موكب نصرته" (٢ كو ٢ : ١٤). فنحن لا نعمل شيئاً من ذواتنا، بل هو العامل فينا. أليس هو القائل "لأنكم بدونى لا تقدرتون أن تفعلوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥).

إذن نحن لا نستطيع ان نفصل حياتنا عن المسيح.

حياتنا الروحية ما هي إلا "رائحة المسيح الذكية" (٢ كو ٢ : ١٥).

ونحن في حياة الحب معه، وحياة الوجود معه، نحاول أن تكون لنا معه وحدة الفكر، وفي المشيئة، وفي العمل... وبهذا ندخل في حياة شركة معه.

فالوجود مع الله، يعنى أيضاً الشركة معه.

هذه الشركة التي قال عنها معلمنا يوحنا الرسول "وأما شركتنا نحن، فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح" (١ يو ٣ : ١). ومعلمنا بولس الرسول يذكر أيضاً "شركة الروح القدس" (٢ كو ١٣ : ١٤). أما معلمنا بطرس الرسول، فيدمج كل هذا معاً في عبارة واحدة هي "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١ : ٤)...

حقاً ما أعجب الوجود مع الله، وما أعجب مواهبه! ونحن طبعاً لا نشترك مع الطبيعة الإلهية في الجوهر، أى في الألوهية، وإلا صرنا آلهة؟ فماذا إذن؟

إنها شركة في الطبيعة الإلهية، في الفكر والعمل.

من جهة الفكر، يعبر بولس الرسول في عمق وإيجاز فيقول "أما نحن فلنا فكر المسيح" (١ كو ٢ : ١٦). أما عن العمل، فيقول عن نفسه وعن زميله أبولس "نحن عاملان مع الله" (١ كو ٣ : ٩). ونحن نصلى في أوشية المسافرين فنقول للرب "إشترك في العمل مع عبيدك، في كل عمل صالح".

والشركة في العمل، تحتاج أيضاً إلى شركة في المشيئة، حيث نقول للرب في كل صلاة "لتكن مشيئتك". وتشمل من معناها "لتكن مشيئتك هي مشيئتنا. ولتكن مشيئتنا هي مشيئتك".

ففي الوجود مع الله، تتحد مشيئة الله والإنسان.

ويقبل الإنسان مشيئة الله في حب، وفي رضى، وفي فرح. وفي شركة هذه المشيئة، وفي شركة العمل والفكر، يحيا في بر دائم. لأن الله هو النور الحقيقي "ولا شركة للنور مع الظلمة" (٢ كو ٦ : ١٤). وهكذا كل من يتمتع بالوجود مع الله، يحيا في النور، ويصير من أبناء النور، لأنه "إن قلنا أن لنا شركة معه، وسلكنا في الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق" (١ يو ١ : ٦).

إذن الوجود مع الله، هو الوجود في البر.

وجودك مع الله، يطهرك من كل خطية، ويثبتك في الحق، والحق يحركك. وتشعر وأنت موجود مع الله بمحبة كاملة لكل ما هو طاهر ومقدس.

لذلك فأنت تحب الرب لأجل أنه منحك هذا الإعتاق من أسر الخطية، وجعل الحياة الروحية سهلة عليك، كما تحبه من أجل أنه الخلاص العظيم الذى قدمه لك وللعالم كله.

تحبه لأنك وجدته، ولأنه تنازل ليكون معك.

ومع أنه مرتفع عن السموات، فإنه يجد لذته فى بنى البشر، ويجب أن يكون معنا، ويعمل فينا وبنا. يكلمنا ونكلمه، يحوطنا بعمل رعايته فى حب وإشفاق...

نحبه، لأنه هو الذى يبحث عنا، حتى إن ضللنا عنه، يأتى بنا إليه، حاملاً إيانا على منكبيه فرحاً، هذا الذى أحبنا قبلاً، وأشفق علينا حتى ونحن فى عمق خطايانا.

نحب هذا القدوس، الذى منح نعمة الوجود معه حتى للخطاة والعشارين، وحضر ولائمهم، وتعشى فى بيت زكا، وسمح للمرأة الخاطئة أن تلمس قدميه وتقبلهما، تلك التى إشمئز من وجودها الفريسي...

نحب هذا الكامل، الذى سمح بالوجود معه للمجدلية التى كان عليها سبع شياطين، فخلصها منهم، وجعلها من خاصته، ونعمت بالوجود معه حتى وهو على الصليب.

إن أسعد أوقاتنا فى الحياة، هى أوقات الوجود معه.

حتى لو كنا مصلوبين معه كاللص اليمين، أو لو كنا نتألم معه كبولس، يكفى أننا معه. أما أتعس أوقاتنا فهى هى نحس الحرمان معه. لذلك نحرص أن نكون معه كل حين، لا فى علاقة رسمية، إنما فى مشاعر الحب، التى بها إتكاأ يوحنا على صدره، والتى بها سكبت الخاطئة دموعها على قدميه، لأنها أحبت كثيراً.

من أجل الوجود معه، عاش آباؤنا فى البرارى.

وكما نقول فى القسمة فى القداس الإلهى "سكنوا الجبال والبرارى وشقوق الأرض، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح". من أجل متعة الوجود معه، تركوا الأهل والمال، وعاشوا فى وحدة كاملة، ليتمتعوا فيها بحبه، منفردين معه فى البرية القفرة، جاعلين شعارهم "الإنحلال من الكل للإرتباط بالواحد".

ومن أجل حبه والوجود معه، ترك آباؤنا الرسل كل شئ وتبعوه، وقالوا له "إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو ٦ : ٦٨).

إنها نفوس هائمة، ليس فى قلوبها سوى محبة المسيح.

إن العقيدة المسيحية فيها الكثير من المبادئ والقيم، والفضائل السامية جداً، والعقائد الروحية السليمة العميقة. ولكن أحمل ما فى المسيحية هو شخص المسيح نفسه.

حتى إن الأبدية بكل فرحها، لا تعتبر نعيماً بدون المسيح. المسيح هو فرحها الكامل، وهو نعيمها الحقيقي.

والوجود مع المسيح في الأبدية، هو النعيم الأبدى.

إنه هو الذى علمنا الحب، وهو الذى ربطنا مع الله برباط الحب، ونزع كل خوف من قلوبنا، ولم تعد وصية الله مجرد أوامر، إنما هى مجرد تعبير عن الحب، كما يقول "من يحبني يحفظ وصاياي" (يو ١٤ : ١٥ ، ٢١).

الذى يحب الرب، يجب الوجود معه، والذى يوجد معه يحبه... ويشعر بفرح لا ينطق به لوجوده مع الله.

مشاعر الفرح...

بالوجود في حضرة الله

مشاعر الفرح بالوجود في حضرة الله

حياتنا مع الله، هي حياة فرح به، كما فرح التلاميذ إذ رأوا الرب. الذين يعيشون مع الرب، يفرحون لأنهم وجدوه، ويفرحون لأنهم عرفوه، ويفرحون لأنهم صادقوه وأحبوه، ولأنهم ذاقوا ونظروا ما أطيب الرب...

حتى في الآلام التي تحيط بهم، هم يفرحون في الرب على الدوام. قال الرسول:

"إفرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا" (في ٤ : ٤).

تسأله: وأنت يا بولس، هل تفرح بالرب كل حين؟ فيقول نعم. وتساءل: وماذا عن السجن والضيق والآلام والضعفات التي تحملها كل وقت؟ فيخلص الموضوع في عبارة واحدة هي "كحزاني، ونحن دائماً فرحون" (٢ كو ٦ : ١٠). أمام الناس، في ظروفنا الخارجية، في ضيقنا الكثيرة، نبدو كحزاني. أما في الداخل. فنحن فرحون.

أولاد الله، يفرحون على جبل الجلجثة، كما على جبل التجلي.

يفرحون وهو في أتون النار، كالثلاثة الفتية الذين كانوا يسبحون الله داخل الأتون، لأن سبب فرحهم كان هو إحساسهم بوجود الله معهم، فكانوا فرحين به...

يفرحون وهم داخل البحر الأحمر، يحيط بهم الماء من هنا وهناك، يحيط بهم، ولكن لا يغطيهم ولا يطغى عليهم. المهم أنهم فرحون بخلاص الرب، ويبد الرب معهم... تماماً مثلما كان بولس وسيلا فرحين في السجن الداخلي، وأرجلهم مضبوطة في المقطرة، وهما يسبحان الله بصوت مسموع (أع ١٦ : ٢٤ ، ٢٥)، شاعرين بوجود الله معهم... كان بطرس في السجن. وكان الله معه في السجن. لذلك استطاع ان ينام في مثل هذه الظروف؟! ولكن بطرس لم يفقد سلامه ولا فرحه بالرب. وكأن لسان حاله يقول: "إن كانت لي صداقه بiale هيروودس، فإن هيروودس سوف لا يضرني بشئ"...

الشعور بوجود الله، يملأ القلب فرحاً، وينسيه آلامه...

أحد القديسين، علقوه على خشبة وصلبوه. فمن فوق صليبه، كان يعظ الناس، ويدعوهم إلى الإيمان بالمسيح. وحدث في إحدى المرات أن ثلاثين ألفاً خرجوا من دمنهور إلى الإسكندرية، لينالوا إكليل الشهادة، وهم يسبحون الله في الطريق، ويغنون الأغاني الروحية، فرحاً بالرب، لشعورهم بوجوده معهم...

وهكذا فعل القديس أبا فام الجندى، حينما لبس أفخر ثيابه، وامتنطى جواده وذهب لمقابلة أريانوس، ليستشهد على يديه، قائلاً "هذا يوم عرسى".

إذن إفرحوا بالرب كل حين، كما فرح القديسون بالرب، في كل ظروفهم وأحوالهم.

ولكن ما أسباب فرح القديسين بالرب؟

إنهم فرحون بصحبته له، وبعشرتهم له، فرحون بالتحديد الذى أخذوه فى المسيحية، بهذه الحياة الجديدة الثابتة فى الرب، إذ وجدوا "الأشياء العتيقة قد مضت، وهوذا الكل قد صار جديداً". إنهم فرحون بالحب الإلهى الذى لمس قلوبهم، فطهروا من كل شر ومن كل شبه شر. إنهم - فى تمتعهم بالوجود الإلهى - فرحون بعمل الروح القدس فيهم، فرحون بنعمة الله التى لا تفارقهم.

إنه كما يقول الرسول "فرح لا ينطق به ومجيد" (١ بط ١ : ٨). إنه فرح النفس بالرب، فرح لما وجدوه، باعوا كل شئ واشتروه... إنه فرح روحانى، يختلف عن كل أفراح العالم...

فرح بملكوت الله داخل النفس... قد يعجب العلم له: كيف تفرحون، وأنتم بعيدون عن كل شهوات العالم وملاذه وترفيهاته ومتعه، بعيداً عن مباحج المادة، ولذة الحواس؟... إن الفرح بالرب هو أعمق لا يستطيع العالم أن يفرحه.

إنه فرح من الداخل، لا يعتمد على أسباب خارجية...

أهل العالم يحصلون على أفراحهم من مصادر خارج نفوسهم... أسباب تختص بالمادة، أو إكرام الناس، أو ما يجذب الحواس، أو بأسباب تتعلق بالأسرة أو بالمركز أو بالجاه والغنى... أما أولاد الله، فيفرحون من الداخل، بسكنى الله فى قلوبهم، وإحساسهم بوجوده معهم، فى داخلهم.

يشعرون بيده فى حياتهم، فيفرحون باستلامه لهذه الحياة وتدييره لها. يحسون بتعزيات الروح داخلهم فيفرحون. يشعرون بالله يعمل فى قلوبهم، ويغرس فيهم مشاعر مقدسة، ويغسلهم فتبييض أكثر من الثلج، فيفرحون. يحسون أنهم فى حالة روحية، لا يستطيعون التعبير عنها، ويكفيهم أنهم يتمتعون بها...

حتى فى مشاكلهم، يشعرون بأنهم فرحون بالرب...

فرحون بالرب الذى يروونه أثناء المشاكل، يتدخل، ويعطى عزاءً وصبراً وطمأنينة وسلاماً، ويعطى حلولاً ما كانت تخطر على فكر إنسان، لها طابعها الخاص الذى يقنع النفس أنها من عند الله... يفرحون بالرب الذى لا يتركهم وحدهم، وإنما يحسون وجوده معهم.

في داخل البرية القفرة، في متاهة سيناء، يرون الله... يرسل سحابته تظللهم وترشداهم نهاراً، ويرسل عمود النور لهم ليلاً... إنه معهم، يرون وجوده في تابوت عهده، كما يرونه في الصخرة التي تفجر ماء، وفي المن ينزله من السماء، وفي صوته يتحدث من فوق الجبل... كل ذلك في متاهة القفر...
إن أولاد الله، دائماً فرحون... فرحون بوجوده معهم...

حالة واحدة تحزن الإنسان الروحي، وهي الانفصال عن الله.

والإنسان الروحي لا يشعر بالانفصال عن الله، فهو معه في كل حين. ولكن هذا الانفصال يشعر به إن سقط في الخطية. فالخطية هي انفصال عن الله، وبالتالي هي انفصال عن كل فرح... وهكذا إن سقط إنسان روحي، لضعف، أو لخديعة العدو، أو لأي سبب، فإنه يسرع بالقيام والرجوع إلى الله.

حتى في سقوطه، يشعر بأن الله يناديه، ويساعده على القيام...

ولولا وجود الله معه، ما قام. إنه هو الذي ينضح عليه بزوفاه فيطهره، ويتوبه فيتوب، بل يبحث عنه كيما يجده. وكما يقال في سفر حزقيال النبي "أنا أرعى غنمي وأربضها... وأطلب الضال، وأسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح" (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦).

فماذا إن شعر البعض أن الله بعيد وليس معهم؟

يفرحون بالله الذي سيأتي، ولو في الهزيع الأخير...

إن لم تفرح بوجوده الآن، إفرح بوجوده الآتي "هوذا آت طافراً على الجبال، قافراً على التلال" (نش ٢ : ٨). إنه على الباب يقرع. فلنفتح له، ونتمتع بوجوده، يكشف لنا ذاته، ويكشف لنا محبته، ويفتح لنا قلبه، ويشعرنا برعايته واهتمامه...

إننا تراب ورماد. ومع ذلك نشعرنا باهتمامه...

عجيب هذا الإله المحب، الذي يعطى أهمية لخليقته بهذا المقدار! "يقيم المسكين من التراب، ويرفع البائس من المزبله، ليجلسه مع رؤساء شعبه" (مز ١١٣ : ٧ ، ٨). هذا الكائن غير المحدود، الإله العظيم وحده، ينظر من علوه المقدس إلى المتواضعات على الأرض...! حتى إن كان درهم مفقوداً، يهتم به، ويبحث عنه إلى أن يجده، فيفرح به، ويدعو الجميع ليفرحوا معه، ويشعره بوجوده في حضرة الله المحب...

الله موجود معك، في البر وفي السقوط...

إنه موجود معك، حينما يعطيك القوة أن تمشى معه فوق الماء، مثلما فعل مع بطرس، وأحس هذا القديس بوجوده مع الله.

وحينما يضعف إيمانك، وتسقط في الماء، مثل بطرس أيضاً، تشعر بوجود الله، الذى يجذبك من الماء، لتمشى معه مرة أخرى... فوق الماء.

لذلك نحن نفرح بالرب كل حين، لأنه موجد معنا فى كل حين، سواء كنا معه أو لم نكن، شعرنا بوجوده أو لم نشعر...

إنه موجود فى حياتنا، ونحن نفرح بوجوده فيها...

ونصلى باستمرار أن نشعر كل حين بوجوده معنا، لكى يزداد فرحنا به... ولكى نشعر نحن بهذه الشركة المقدسة، شركة الله فى حياتنا، وشركتنا نحن معه، فى الحب، وفى العمل...

مشاعر السلام

في الوجود مع الله

مشاعر السلام في الوجود مع الله

إن أول عبارة كان يقولها الرب، حين يلتقى بأحبائه هي "سلام لكم" (لو ٢٤ : ٣٦ ، يو ٢٠ : ١٨). وقبل صلبه، لكي يعزى تلاميذه بأنه سيكون معهم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر، قال لهم "سلامي أترك لكم، سلامي أنا أعطيكم" (يو ١٤ : ٢٧).

كل من يوجد في حضرة الله، يشعر بسلام عميق.

يشعر باطمئنان داخلي، لوجوده مع الله. يشعر بالسلام الذي يشعر به البحارة حينما يصلون إلى الميناء، فيستريحون فيه. كذلك من يجد راحته في الرب، يشعر بسلام... مثال لذلك قول القديس أوغسطينوس للرب "ستظل قلوبنا في قلق، إلى أن تجد راحتها فيك".

في هذا السلام، يخنفي كل خوف، وكل قلق واضطراب.

أن كانت حالة الوجود مع الله، تعني الإحساس بسكنى الروح القدس داخل القلب، فإن من ثمار الروح محبة وفرح وسلام (غل ٥ : ٢٢). ولا شك أن المحبة والفرح ينشئان سلاماً داخلياً... أخيراً وجدتك يارب، فامتلاً قلبي فرحاً، ولساني تهليلاً، وأصبح في قلبي سلام. سلام معك، إذ قد تصالحنا، مادمت أنت موجوداً في وأنا فيك.

يفقد الإنسان سلامه بالخطية، فالخطية هي انفصال عن الله.

في حالة الخطية، يبتعد الإنسان عن الله، لا يشعر بالوجود معه، لذلك يفقد سلامه حقاً "لا سلام - قال ربي - للأشرار" (أش ٤٨ : ٢٢). هكذا حدث لآدم لما أخطأ، خاف، اختبأ، لأنه انفصل عن الله. وكان من قبل في سلام، وهو شاعر بالوجود في حضرة الله. وقاين أيضاً فقد سلامه، وأصبح قلقاً، وتائهاً وهارباً في الأرض، لأنه انفصل بالخطية عن الله، كما قال "من وجهك أختفي، وأكون تائهاً وهارباً في الأرض" (تك ٤ : ١٤).

إن الوجود مع الله هو السلام الحقيقي، لذلك قال المرتل في المزمور "صرفت وجهك عني فصرت قلقاً" (مز ٣٠ : ٧). من أجل هذا كانت أعمق صرخة يوجهها المصلى إلى الله هي:

لا تحجب وجهك عني، لا تطرحني من قدام وجهك" (مز ٥٠).

إن داود النبي، وهو شاعر بوجوده مع الله، كان يغني على المزمار والقيثار في فرح وتهليل، ويدعو الناس إلى مشاركته، فيقول "هللوا للرب يا كل الأرض. اعبدوا الرب بالفرح. ادخلوا إلى دياره بالتهليل" (مز ١٠٠ : ١ ، ٢).

ولكنه لما أخطأ، ولم يعد يشعر بالوجود السابق في حضرة الله، قال "إشفتني يارب فإن عظامي قد اضطربت، ونفسي قد انزعجت جداً" (مز ٦). هذا الإضطراب وهذا الإنزعاج، ما كان لهما وجود، وهو مع الله. فبالخطية يفقد الإنسان سلامه "الأشرار كالبحر المضطرب، لأنه لا يستطيع أن يهدأ، وتقذف مياهه حمأة وطيناً. لا سلام، قال إلهي للأشرار" (أش ٥٧ : ٢٠ ، ٢١).

ولكن متى يرجع إلى الخاطئ سلامه؟

عندما يتوب، ويعود للوجود مع الله، يعود إليه سلامه...

لهذا عندما يتوب الخاطئ، ويتخلص من حمل خطاياها، ويسمع صلاة التحليل، ويشعر أنه قد اصطالح مع الله، وعاد إلى أحضانه مرة أخرى، حينئذ يشعر بالفرح وبالسلام...

كان فاقداً سلامه لشعوره بأنه قد أحزن روح الله داخله، وانفصل عن الرب، وفقد العزاء الداخلي النابع من الوجود مع الله، ولم تعد له دالة معه، ولم يعد له وجه يستطيع أن يرفعه إليه. أما بالتوبة فقد استعاد كل هذا، ورجع إلى الله وإلى عشرته.

إن الشعور بالحرمان مع الله، قد يفعل ما هو أكثر من فقدان السلام. قد يوصل إلى الكآبة الدائمة، وإلى فقد الأعصاب، وإلى اليأس القاتل، وقد يؤدي إلى الإنتحار كما حدث ليهوذا...

أما الرب - في وجوده معنا - فيعطي سلاماً لكل من يعتصم به، حتى لأدنس الخطاة...

أنظروا إلى المرأة التي ضبطت في ذات الفعل، كيف كانت في حجل مميت، وفي عار، وقد أمسك بها القساة لكي يرموها بالحجارة... ولكنها لما وجدت في حضرة الرب، أعاد إليها سلامها. دافع عنها، وخلصها من الذين أدانوها ويريدون قتلها. وقال لها عبارته المملوءة عزاء "وأنا أيضاً لا أدينك" (يو ٨ : ١١)، فمضت من عنده بسلام، سلام من تخلص من الدينونة... كما قال أيضاً للخاطئة التي بلت قدميه بدموعها "مغفورة لك خطاياك... إذهبي بسلام" (لو ٧ : ٤٨ ، ٤٩).

وفي الوجود مع الله، كما يشعر الإنسان بسلام من جهة دينونة خطاياها، يشعر أيضاً بسلام في ضيقاته ومخاوفه:

حتى إذا "تزعزعت الأرض، وانقلبت الجبال إلى قلب البحار" يصيح المرتل في ثقة "الرب إله القوات معنا، ناصرنا هو إله يعقوب" ويدعو الناس إلى مشاركته في فرحه قائلاً لهم "هلموا فانظروا أعمال الرب، التي جعلها آيات على الأرض" (مز ٤٦).

أليشع الذى كان يرى الله وعمله معه، لم يخف حينما كانت جنود الأعداء محيطه بالمدينة، أما تلميذه جيحزى فخاف، لذلك صلى أليشع من أجله قائلاً: "إفتح يارب عينى الغلام فىرى".

نحن محتاجين أن يفتح الله أعيننا، لنرى وجوده معنا...

حينئذ نطمئن ونحيا فى سلام، واثقين بعمله، وبأن قوة سماوية تحيط بنا، بأن الله قد أرسل ملائكته لحفظنا من كل شر ومن كل ضربة، وأنا دائماً فى حمى الله الذى نشعر بوجوده معنا. وهكذا فى كل مشكلة تصادفنا، نقول هذه العبارات الثلاثة:

مصيرها تنتهى - ربنا موجود - كله للخير...

بالإيمان أن ربنا موجود معنا، نتق أن كل مشكلة لابد ستنتهى وأن "كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الرب" (رو ٨ : ٢٨). نضع الله بيننا وبين الضيقة، فتختفى الضيقة، ونرى الله وحده، فى محبته وحنانه ورعايته.

وهكذا سلامنا لا ينبع من أسباب خارجية، وإنما من إيمان داخلنا، بوجود الله معنا وبعمله لأجلنا.

الله ضابط الكل، الصانع الخيرات، الحافظ المعين المنقذ...

إننا لا نفكر فى الضيقة، بل فى الله الذى يخلصنا. أما الذى يركز فى الضيقات، ناسياً وجود الله، فإنه يتعب.

وهذا واضح فى الحياة العملية، بأمثلة كثيرة:

أم يتأخر ابنها الصغير ليلاً، فتضطرب جداً، وتفكر فى حوادث السيارات، وحوادث الخطف، وأذية الناس لإبنها... وتقلق. ترى أين ابنها الآن؟ فى مستشفى؟ أم مات؟ أم فى بيت غريب...؟ على أن هذه الأم، لو فكرت فى الله الذى "يحفظ الأطفال" (مز ١١٦) لاستراحت واطمأنت.

مثال آخر: إثنان بيتان فى مغارة فى الجبل: أحدهما يفكر فى الذئب والثعابين والحيات العقارب ودبيب الأرض، فيخاف ولا يقدر أن ينام، وينتظر شراً وخطراً فى كل لحظة!! أما الآخر إذ يؤمن بوجود الله معه وحفظه له، يبيت مطمئناً.

إن الظروف الخارجية واحدة، ولكن مشاعر القلوب تختلف!

فيفقد الإنسان سلامه، إن فقد شعوره بوجود الله معه.

طفل فى ميدان عام، يموج بوسائل المواصلات، لا يخاف مادام يشعر بأن يد أبيه ممسكه بيده. أما إن شعر أنه وحده، وأباه ليس موجوداً، فإنه يصرخ فى فزع. هكذا نحن فى شعورنا بوجود الآب السماوى معنا. وهكذا بطرس على الماء، فى شعوره بيد المسيح ممسكه بيده...

إن نظرت إلى البحر تخاف. أنظر إلى عصا موسى...

حينئذ تطمئن، وتشعر بقوة إلى جوارك هي قوة الله العاملة مع موسى وعصاه، وإذ تتأكد من وجود الله وعمله، تتذكر قول موسى "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

بكل اطمئنان وسلام قلبي، كان الشهداء يتقدمون إلى الموت، غير مفكرين في العذابات، إنما كان يفكرون في الوجود مع الله في الأبدية فيمتلئون سلاماً.

في الوجود مع الله قوة وشجاعة وعدم خوف...

إن القديس بولس الرسول، الذي يشعر بوجود الله معه وفيه، الذي قال "بل المسيح يحيا في" (غل ٢) والذي قال "وأوجد فيه" (في ٣) وهو أيضاً قال عبارته الخالدة "أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويني" (في ٤ : ١٣). كان يشعر بقوة معه، أو بقوة الله معه...

لذلك كان بكل جرأة يشهد لكلمة الله، وكانت لكلماته قوة. وفيما هو يتكلم عن البر والتعفف، إرتعب فيلكس الوالي، الذي كان بولس أسيراً أمامه! (أع ٢٤ : ٢٥).

وإيلينا النبي، الذي كان أيضاً يشعر باستمرار وجوده في حضرة الله، وكان يقول "حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه" (امل ١٨ : ١٥). إيليا هذا، استطاع بكل شجاعة أن يذهب إلى آخاب ويبيته (امل ١٨ : ١٨). وبنفس الشجاعة، يوحنا المعمدان، بكت هيرودس.

بنفس الشجاعة دانيال النبي، صعد إلى عليية منزله، وفتح نافذته المطله على أورشليم، وسجد لله العلي، ولم يخف من جب الأسود... إن كان الله موجوداً في كل مكان، فهو موجود أيضاً بلا شك في جب الأسود، يستطيع أن يحمي وأن ينقذ...

الذين يشعرون بوجود مع الله، لا يخافون حتى من الشيطان...

إن حياة القديس الأنبا انطونيوس مثال واضح لذلك... بل له مقالة عن ضعف الشياطين. الذين لهم وجود مع الله، ليس فقط لا يخافون الشياطين، بل يطردونهم، لأن الله أعطاهم سلطاناً على قوة العدو، وكما قال الرسول "قاوموا إبليس فيهرب منكم" (يع ٤ : ٧).

جملة جميلة "يهرب منكم"!... منظر رائع أن نرى الشيطان يهرب من إنسان! ولكنه الإنسان الذي يكون الله موجوداً معه. كما كانت تهرب من داود النبي الشياطين التي تحارب شاول، ذلك لأن داود حل عليه روح الرب. وكان الرب معه، وبوجوده معه تخافه الشياطين...

إن الوجود مع الله، وجود البر والقداسة...

وهذه القداسة تخافها الشياطين. إن مجرد ذكر إسم القديسة يوستينية، جعل الشيطان يهرب، فأمن كبريانوس الساحر...

كل إنسان يشعر بوجوده في حضرة الله، لا يستطيع أن يخطئ، والشرير لا يمسه. مثلما كان يقول يوسف الصديق "كيف أخطئ، وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله!؟"...

الإنسان الموجود مع الله، هذا يسكن فيه روح الله، ويسكنه فيه، تظهر ثمار الروح في حياته، ومنها الصلاح أى البر، ومنها الفرح والسلام...

لذلك إن أخطأ إنسان، بدلاً من أن نبحت الأسباب الخارجية التي دعتة إلى الخطية، علينا أن نسأل سؤالاً واحداً وهو: هل الله موجود في حياة هذا الإنسان أم لا؟

إن كان الله موجوداً في حياته، تكون حياته براً وفرحاً...

وتكون حياة محبة وسلاماً. بل تكون حياته هي صورة لملكوت الله على الأرض...

ما أجمل الوجود مع الله. إنه متعة الروح هنا على الأرض، وهو أيضاً نعيمها الأبدى في السماء.

فهرست

صفحة

٣

تصدير

٤

١- الوجود مع الله

١٨

٢- أوقات الإحساس بالوجود مع الله

٢٦

٣- شهوة الوجود مع الله

٣٠

٤- طبيعة العلاقة مع الله

٣٥

٥- مشاعر الوجود مع الله

٣٨

مشاعر الحب

٤٤

مشاعر الفرح

٤٩

مشاعر السلام

٥٥

فهرست الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

ما هو الوجود مع الله؟

وكيف تحس أنك موجود في الحضرة الإلهية، وأن الله موجود معك؟

ماهي أوقات الإحساس بالوجود مع الله؟ وكيف يصبح هذا الإحساس حياة، وليس لفترات.

وما هي طبيعة العلاقة مع الله، الذى يوجد فينا، ونحن نوجد فيه؟

وماهي المشاعر التي تغمر القلب وقت وجوده مع الله؟...

عن هذا كله، يحاول كتابنا الذى بين يديك أن يجيب.

شئونة الثالث